

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزايم الوهابية
بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعيي محمود
قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



HAKİKAT KİTABEVİ

Darıüşşefaka Cad. No: 57/A P.K. 35
34262-Fatih İSTANBUL Tel: 523 45 56
TURKEY
1986



المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

قال العلامة محمد ابن علي بركوي في الطريقة المحمدية

فإن قيل كيف التطبيق بين قوله صلى الله عليه

كل بدعة ضلالة وبين قول الفقهاء إن البدعة قد تكون مباحا
كاستعمال النخل وقد تكون مستحبا كبناء المنارة والمدارس
وتصنيف الكتب بل قد تكون واجبا كظلم الدلائل رد شبه
الملاحدة ونحوهم قلت البدعة معنى لغوي عام هو المحدث
مطلقا عادة أو عبادة لأنها اسم من لا يتداع بمغى لأحداث
كالرفعة من الارتفاع والخليفة من الاختلاف وهذا هو القس
في عبارة الفقهاء يعنون بهما ما أحدث بعد الصدر الأول
مطلقا ومعنى شرعي خاص هو الزيادة في الدين أو نقصان
منه الحاد ثان بعد الصحابة بغير إذن من الشارع لا قولا ولا
فعلا ولا صرحا ولا إشارة فلا تتناول العادات أصلا
بل تقتصر على بعض العقائد وبعض صور العبادات
فهذه هي مراده عليه الصلوة والسلام بدليل قوله عليه
فعليناكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بين بعد
وقوله عليه الصلوة والسلام أنتم أعلم بأمر دينكم وقوله
عليه الصلوة والسلام من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

الحقائق الإسلامية

في الردّ

على المزايم الوهابية

بأدلة الكتاب والسنة النبوية

تأليف

الحاج مالك به ابن الشيخ داود

وفقه الله والمسلمين بسعياً محمود

قد اعتنى بطبعه طبعة جديدة بالأوفست



يطلب من المكتبة الحقيقة بشارع دار الشفقة بفتح ٥٧ استانبول - تركيا

هجري قمرى ١٤٠٧ هجري شمسي ١٣٦٥ ميلادي ١٩٨٦

﴿ تنبيه ﴾

من اراد ان يطبع هذه الرسالة وحدها او يترجمها الى لغة اخرى فله من الله الاجر الجزيل ومنى
الشكر الجميل وكذلك جميع كتبي كل مسلم ماذون بطبعها بشرط جودة الورق والتصحيح

المكتبة التخصصية للرد على الوهاية

قائمة بكتب كاترينا لاهوت

1- كتاب: الوهاية في الإسلام

2- كتاب: الوهاية في الفقه الإسلامي

3- كتاب: الوهاية في التاريخ الإسلامي

4- كتاب: الوهاية في الأدب العربي

5- كتاب: الوهاية في الفلسفة الإسلامية

6- كتاب: الوهاية في العلوم الشرعية

7- كتاب: الوهاية في اللغة العربية

8- كتاب: الوهاية في الفقه المالكي

9- كتاب: الوهاية في الفقه الشافعي

10- كتاب: الوهاية في الفقه الحنفي

إهداء الكتاب

الى حضرة المجاهد الاكبر، المنهض حاله والذال على الله مقالته سيدى ومولاي
الحاج عبد العزيزيه. خليفة المسلمين وخادم الحضرة الاحمدية فى افريقية الغربية.
إننى أتشرف باهداءكم هذه المؤلفه المتواضعة تقديراً لمساعدتكم الحميدة و
مجهوداتكم الجبارة التى ما برحتم تبذلونها لصالح الاسلام والمسلمين. ويسعدنا ان نؤكد
فى هذه السطور ما لفضيلتكم من أياذ بيبضاء. ومواقف غراء، فى مختلف القضايا الاسلامية
منها، والوطنية. لقد كنتم — يافضيلة الشيخ — السند الأقوى والقُدوة الحسنى لابناء
هذه الامة المسلمة. وقمتم خير قيام لتحقيق التضامن واصلاح ذات البين فى ظروف يكاد
التعصب بين الطرق الصوفية، والمذاهب الفروعية. يمزق شمل الامة ويوهن قُوَّتَها أو
يقضى عليها بالكلية.

ولكن لحسن الحظ وبفضل ما اوتيتهم به من الحكمة وفصل الخطاب، استطعتم
ان تفهموا كل من يفهم القول بان الطرق والمذاهب مهما تعددت وتخالفت فى الاشكال
والنظم، فانها تهدف الى تحقيق غاية واحدة وهى توجيه العباد الى معالم العبادات و
جعلهم أمة متحدة ذات هدف و شعور مشتركين وقد تحقق بحمد الله تعالى فى عهدكم
الزاهر الشئ الكثير من تلك الاهداف الغالية. فنسأل الله العلى القدير ان يجعل سعيكم
مشكوراً وجزاءكم موفوراً انه تعالى لا يضيع أجر المحسنين.

مقدمة

إنها محاولة كانت ولا بد من أن نكتبها بمقتضى القضاء والقدر فلولا ذلك لما ظهرت الى الوجود لضعف مستويينا الثقافى والتعبيرى ولأن الكتابة تحتاج أيضا الى مزيد من الآلات غير المداد والقلم. فلستنا متزودين بتلك الآلات التى هى معرفة اساليب الانشاء، وقواعد التركيب والترتيب. ولستنا كذلك من عارفى التصنيف ولاء الفى التأليف. ولكننا سلكتنا مسالك غيرنا، وتحملنا بما لاحول لنا به ولا قوة. والحق ان سلوكنا وتحملنا بهذا وذاك انما هو تعبير صادق عن حقيقة رغبتنا لامتحاض النصيحة لعامة المسلمين. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (الَّذِينَ نَصِيحَةُ)

هذا ولم يكن ليخطر ببالي ان اكتب مثل هذه الرسالة الا بعد ان جالست بعض الوهابيين عدة مرات، وناقشت معهم شتى الموضوعات الدينية. واضف الى ذلك ما رأيته فى الكتب من مؤلفاتهم، وما استمعت اليه من محاضراتهم وندواتهم فظهر لى ما يسرونه لغيرهم وما يعلنون. ووجدت لى - والحال هذه - مضطرا للدفاع عن المظلومين و ان اكف أبدى المعتدين عملا بقوله تعالى: (وَلَمَّا انتَصَرْتُمْ تَغْلِبْهُمْ، فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * الشورى: ٤١) وقوله عليه الصلاة والسلام: (أَنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا) هذا ويمكن التحقق بان الهدف الوحيد والغرض الرئيسى من تأليف هذا الكتاب هو بث الحقائق الاسلامية، وتخليص ذوى الافهام المنحرفة من ورطة الاقراط والتفريط لا غير. ولست أقصد من وراء هذا العمل الا الشفقة على الاخوان المسلمين علما بان انتقاد اولياء الله تعالى نذير سوء الخاتمة - والعياذ بالله! - وليس لى أى غرض الى شن الهجوم ضد الوهابيين او التعدى عليهم بالظلم والعدوان. كلا! وحاشا!

ولكنى فى الواقع انما اخاطبهم بلسان النصيحة وأذكرهم - ان نفعت الذكرى - بأن دعوتهم هذه، وان كانت فى البداية لأجل نصره دين الله الحنيف قد صارت اليوم - وبالله اسف - حجرة عثر فى طريق الاخوة الاسلامية، او شبه حجرة تحركها يد الشيطان فترمى بشرر العداوة بين المسلمين من جهة، وبين ذوى الارحام من جهة أخرى. او بعبارة اخرى ككرة تتقاذفها الاهواء بين فرق من الجهال وأفراد ممن يسمون أنفسهم (سُنِّيَّين)

على الرغم من تجاهلهم وتهاونهم بمعنويات السنة ومقتضياتها هذا، وقد التزمت من نفسى وحاذرت كل الحذر حرصا على توفير العدالة المنطقية، ونظرا الى أن الحق أحق ان يُتَّبَعَ — التزمت ان لا اكتب فى هذه المؤلفه غير الواقع المشهود، استنادا على الحق. وخوفا من ان اكون كالناقد المتطرف الذى يعتمد فيما يكتب او يقول: على القيل والقال. أو على الرجم بالغيب (وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * يوسف : ٨١)

هذا وأملى كبير فى ان يطالع هذه السطور آذان واعية ونفوس مستعدة لقبول الحق آتياً كان مصدره. والله در القائل: (أَنْظُرْ لِمَعْنَى الْقَوْلِ لَا لِلْقَائِلِ وَالْحَقُّ مَقْبُولٌ وَلَوْ مِنْ جَاهِلٍ) وسميتها بالحقائق الا سلامية فى الرد على المزاعم الوهابية بأدلة الكتاب والسنة النبوية.

ثم انى اعتذر مرة اخرى لكل من اطلع عليها من النحاة وذوى الثقافة بأننى لا املك غير حسن الظن بالله وهو المسئول بأن يتمم لى المقصود. ويجعلها مقبولة لديه، خالصة لوجهه الكريم، نافعة لمن اطلع عليها، إنه ولى التوفيق والهادى بمنه إلى الصراط المستقيم.

الحاج مالك بة

نزىل مدينة «كوتبالا»

جمهورية «مالى»

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله الذى أنشأ وصور وشهد ان لا اله غيرك يا من أسمع وأبصر والصلاة والسلام على مولانا محمد سيد من بشر وأنذر القائل: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) وعلى اله وصحبه، ومن اوى ونصر

اما بعد فان الباعث الوحيد لى الى وضع هذه الرسالة هو النصيحة لعامة المسلمين والرد على بعض الوهابيين المتطرفين الذين يظنون بالمسلمين غير الحق ظن الجاهلية ويزعمون أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك حتى ولو أقر بالشهادتين و اقام الصلاة وآتى الزكاة وصام رمضان وحج البيت. لأن الوهابية عندهم بمثابة سنة نبوية يجب الاقتداء بها بالقلب والقالب وكأن الوحي الالهي إنما أنزل على محمد بن عبد الوهاب (المتوفى سنة ١٢٠٦ هـ) لا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. [١] وأقول بان هذه المزاعم وأمثالها ليس مصدرها إلا الجهل الذى هو الداء العضال فى كل زمان ومكان، والذى لا يقتل أعضاء الجسم وحدها إنما يقتل معها أعضاء الامة جمعاء.

ولا شك أن هذه الخلافات التى مني بها مجتمعنا القومى فى عصرنا الحالى، جاءت نتيجة لسببين ظاهرين: اولهما: هو الجهل المركب الذى لا يميز صاحبه بين الخبيث والطيب ولا بين المندوب والمكروه ثم لا يعترف بجهله فيسكت. والثانى: هو عدم فهم بعض المسائل الدينية فهما حقيقيا، مما اتاح لهم فرصة ليحرفوا بعض الآيات والاحاديث عن مواضعها فيترتب عليه إجرام البريء تارة وإبراء المجرم تارة اخرى.

ولأجل هذين السببين عمت البلوى بانتشار الخلافات الدينية مما أدى الى قطع الارحام وهجران المساجد واختلاف المفاهيم والآراء، وأخيرا اختلط الدين بالطين وانتهى الأمر الى الفوضى. وقديماً مثل حكيم عن كثرة الخلافات فأجاب: (لو سكت الجاهل لارتفع الخلاف)

(١) اما اولئك الوهابيون المعتدلون الذين لا يعتقدون ذلك ولا يزعمون تلك المزاعم فلم يتوجه اليهم كلامنا اهـ.

ما احوجنا اليوم الى السعى وراء التفقه في الدين والاهتمام به ، كواجب مقدس . وما أجدر بنا للتمسك بالكتاب والسنة والتقيد بأحكامهما قولاً وفعلًا .

وما اسعدنا لو وقفنا صفا متحدا وقلبا واحدا ضد هذه الخلافات الهدامة والتقسيمات الطائفية التي شأنها خلق التباغض والتقاطع بين افراد المسلمين وجماعاتهم وحبذا لو استحضرننا بأذهاننا عهد الخلفاء الراشدين وسلكننا بتصرفاتنا الدينية والدنيوية نهج المسلمين الاولين من المهاجرين والأنصار الذين وصفهم الله تعالى بقوله: (أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ * فَتَحَ: ٢٩) وبقوله: (أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ * المائدة: ٥٤)

وقد كانوا — رحمهم الله — مضرب المثل في التسامح والتناصح وحسن الجوازو جدير بنا — نحن الخلف — ان نحذو حذو سلفنا الاخيار ونمثل في كياننا أمة مسلمة متماسكة بمعنى الكلمة هدفها: الاعتصام بحيل الله وغايتها: القضاء على اسباب التحالف والتباغض بين افراد المسلمين وجماعاتهم . كما كان الأمر في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد خلفائه الراشدين رضي الله عنهم .

وهنا نطرح السؤال التالي: ما هي العلوم التي يجب ان نتعلمها لفهم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية؟ أهى العلوم التي في الكتب المصرية والتي يؤلفها بعض المتقولين ممن لا يعتد بأقوالهم ولا يحتج بأرائهم وإنما يحبون فقط ان تشيع الخلافات بين الأمة؟ ام العلوم التي في الكتب الأصلية المستنبطة من الكتاب والسنة ومن اقوال أئمة المذاهب ورجال الدين؟ والجواب على السؤال واضح.

ولكى نفهم القرآن الكريم والشريعة الاسلامية فهما حقيقيا لابد وقبل كل شيء من معرفة نصوص القرآن الكريم وأصول الحديث، والفقه، واللغة، والنحو، وغيرها...

فهذه كلها علوم ضرورية لا يستغنى عنها في فهم الشريعة . ويجب تعلمها والاعتناء بها بأكبر قدر ممكن . لأن ما لا يتم الواجب الآ به فهو واجب .

ولكن فمن المؤسف جداً ان بعض اخواننا الوهابيين لا يعرفون من هذه العلوم شيئا ومع ذلك فهم يدعون المعرفة والتدين . وتراهم يتجادلون في الدين آناء الليل و

اطراف النهار ويفسرون القرآن و الاحاديث الأسواق و الاندية العامة دون معرفة الناسخ او المنسوخ ولا سبب النزول ولكن بأرائهم الشخصية. فكثيرا ما يحرفون الكلم عن مواضعها و العياذ بالله. و في الحديث: (مَنْ قَسَرَ الْقُرْآنَ بِرَأْيِهِ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ فِي النَّارِ). «اخرجه الترمذى» ولا تكاد تجد منهم من يعرف في الاسلام اكثر من وقائع التاريخ و قصصه المسروقة: كفتح مكة وقصة خيبر و أحداث بدر و أحد و حُتَيْن و ما أشبه ذلك من الحروب الاسلامية و تواريخ الخلفاء و الشخصيات البارزة.

و حيث كانت معرفة هذه الحروب مهمة في نظر الاسلام فإن معرفة نصوص القرآن الكريم و اصول الحديث و الفقه أهمُّ بأضعاف مضاعفة. ذلك لاننا بواسطة هذه العلوم نصل إلى معرفة فروض الاعيان و التمييز بين الحلال و الحرام بينما لانصل إلى معرفة ذلك من خلال الحروب المذكورة.

و على هذا فإن طلاقة اللسان و معرفة هذه الحروب و تلك الاحداث لا تجعل الانسان عالما مادام يجهل فروضه و الواجبات عليه. ولا ينبغي للمسلم ان يصرف همه في تعلم هذه الحروب و تفاصيلها و ان يستغرق اوقاته في تتبع مواقعها و نتائجها، حين لا يعرف شيئا عن امور دينه و احكام عباداته. بل الواجب عليه أن يهتم أولا بتطهير قلبه و تحسين سلوكه و أخلاقه ثم يسعى الى معرفة ما يصلح به فرض عينه من احكام الصلاة و الطهارة، و الصيام. و ما الى ذلك من فروض الاعيان. و له بعد ذلك أن يتعلم ما يشاء من فروض الكفايات التي من بينها هذه الحروب و تلك القصص و الحكايات.

و مهما تغافل المرء عن تعلم فروضه العينية و اشتغل بما دونها من القصص و الحكايات ليميل إليه قلوب العامة و يستجلب مشاعرهم و رضاهم كان مضيعا للوقت و خاسرا في الحال و المآل.

الاسلام وأهدافه في توحيد الأمة

الاسلام هو الدين الحنيف الأمر بالتأخي والتألف، والناهي عن التقاطع والتحالف، ويهدف هذا الدين القويم من خلال أوامره الربانية وتوجيهاته النبوية الى خلق حَوْ يسوده التفاهم والتحابب بين أفراد المسلمين وجماعاتهم وينادى بأعلى صوته الى الاعتصام بحبل الله والى اصلاح الأخوة الاسلامية ورعاية حقوق الجوارى في جميع المستويات. ويحرص هذا الدين كل الحرص على التماسك والتحابب بقدر ما يكره التباعد والتحالف. قال الله تعالى: (...وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ... * الانفال: ٤٦) وقال ايضا: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا * آل عمران: ١٠٣) ويقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَكُنُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا) رواه انس وقال عليه السلام: (الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوعِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا) رواه البخارى ومسلم وقال ايضا: (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِإِخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) رواه البخارى ومسلم

والاسلام احرص شئ على التوافق والتعاون بين أبنائه ويظهر ذلك جلياً في كل توجيهاته، وتعليماته، وخاصة في قواعد الخمس التى هى: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. فالشهادتان تشكلان المورد الالهى العذب، الذى ترده القلوب والألسنة بين حين وآخر، فترتوى من ماء التوحيد الذى هو السبب الايجابى للحياة الأبدية والسعادة السرمدية

والشهادتان — بالمعنى الصحيح — تعبران عن لفظ التوحيد ومعنييه الحقيقين و هما أساس القواعد الخمس التى بنى عليها الاسلام.

والصلاة هى إحتتماع مفروض بين المسلمين يَوْمِيّاً ليقوموا الى عملية العبادة بحركات متحدة من قيام، وركوع، وسجود، وجلوس، وسلام. ويتكرر هذا الاجتماع خمس مرات فى اليوم، فيترتب منه التعارف بين المسلمين والتألف والتعاون فى كل المجالات.

أما الزكاة فهي من أجل مظاهر التعاون و التراحم بين المسلمين ومن أسرع جوارب التحابب و التعاطف بين الأغنياء و الفقراء، فالغنى يأخذ كل سنة جزءاً من ماله الخاص ليضعه تحت تصرفات أخيه الفقير و هو لا يريد منه الجزاء ولا الشكور. بل يعد ذلك من الواجبات الاجتماعية التي أوجبتها عليه احكام الشريعة الاسلامية العادلة. ثم يأخذه منه ذلك المحتاج شاكرًا إياه و الاسلام معا.

ثم يأتي دور الصوم و كأنه يريد من الغنى ان يتعرف على الظروف التي تحيط بالفقير فيعيش معه نفس الظروف؛ من الجوع و العطش طيلة شهر كامل ليتسنى له بين حين و آخر، ان يتذكر احوال إخوانه الجائعين و ذوى الفاقة فيعطف عليهم و يواسيهم بما تملكه يده فيحصل له من الله الأجر و من إخوانه الشكر.

ثم الحج الذي هو المؤتمر السنوي للمسلمين حيث يتوجهون كل سنة الى اقدس الاماكن و اشرف البقاع. و هي مكة المكرمة لأداء فريضة الحج و لزيارة الرسول صلى الله عليه و سلم في المدينة المنورة و هو فرصة سانحة يفتنمها المسلمون لفائدتهم الدينية و الدنيوية في آن واحد...

و الحج مظهر رائع من مظاهر التشابه و المساواة بين طبقات المسلمين من الأغنياء و الفقراء و داعٍ من دعاة التعاطف و عدم التحاصم فيما بينهم قال تعالى: (فَلَا رَفْثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ • البقرة: ١٩٧)

تلك هي قواعد الاسلام الخمسة و هذه، توجيهاتها و تعليماتها و كلها تهدف أساسا الى توحيد صفوف المسلمين و جمع كلمتهم و احترام بعضهم بعضا. و يتبين للمسلمين من خلال تأملهم الى هذه القواعد الاسلامية و تأثيراتها في المجتمع بأنهم مطالبون بالتعاطف و التماسك بدلاً من التحالف و التحاصم كما هو الواقع اليوم.

و من هنا نرى و نحكم أن كل دعوة أدت الى التفرقة و الشقاق بين أفراد الامة فهي دعوة باطلة بأدلة الكتاب و السنة. و هي بالتالى دعوة بريئة من الاسلام، و الاسلام برهء منها مهما بلغ تأثيرها في قلوب العامة و مهما كثُر أنصارها و أتباعها. و في الحديث: (أَبْنَا رَجُلٍ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ أَقْنَى قَاضِرٍ بَوَا غُثَّةً)

فالدعوة الوهابية كما لا يخفى على أحد كانت و ما زالت مصدر الاختلاف و

الخصومات بين المسلمين، من لدن عهد احمد بن تيمية المؤسس الأول [١] لهذه الدعوة الى عهد محمد بن عبد الوهاب الذى حددها بعد أربعمائة سنة من وفاة ابن تيمية الذى كان قد واجه تهماً شتى، مما أدى فى الاخير الى الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب تلك الدعوة وقد ظل مسجوناً الى ان وافته المنية رحمه الله.

وهنا نلفت انتباه القارئ الكريم الى أن احمد بن تيمية هذا كان واحداً من اكابر العلماء و كان فقيها مشهوراً بالزهد والتقوى، و يضرب به المثل فى علم الحديث و كان يلقب بشيخ الاسلام لأنه خالف جمهور العلماء فى بعض المسائل الشىء الذى حظ بدولته، الى اسفل الدرجات ولا غرابة فى ذلك فالجواد قد يكبو والسيف قد ينبو.

فقد كان من أمره انه يمنع السفر لزيارة قبر النبى صلى الله عليه وسلم و يحرم التوسل و الاستغاثة بالانبياء و الأولياء و يقول بان ذلك من الشرك بالله كما كان يطعن فى السادة الصوفية و فى اكابرهم من امثال الامام الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٢٩٨ هـ) و أبى يزيد البسطامى (المتوفى ٢٣١ او ٢٦١ هـ) وابن الفارض (المتوفى سنة ٦٣٦ هـ) والامام العزالى (المتوفى ٥٠٥) و اضرابهم و كان يهاجم عليهم باقظع العبارات و يبالغ فى الرد عليهم و على منهجهم الصوفى. و ذلك ايضا هو النهج الذى سلكه خليفته محمد بن عبد الوهاب و أتباعه المعاصرون. وهناك مسائل اخرى يتعلق بعضها بالأصول وبعضها بالفروع خالفوا فيها جمهور العلماء وصاروا بها موضع الجدل و الخصومات بين المسلمين.

اما محمد بن عبد الوهاب فقد ظل هو الآخر يعانى مدة حياته حروباً حامية الوطيس بينه و بين علماء عصره الذين كانوا يعارضونه تماماً و يعتبرون دعوته من اخطر الدعوات فى تاريخ الاسلام. فقد رد عليه بعض الاساتذة و العلماء بأبلغ الرسائل و المؤلفات يحذرونه فيها من مغبة هذه الدعوة و ينشرونه التوقف عن شن هجماته ضد المسلمين الابرياء الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب و الضلال.

و من بين اولئك العلماء كبير مشائحه و هو الشيخ محمد بن سليمان الكردى [٢] الذى قال من جملة كلامه اليه : يا ابن عبد الوهاب انى أنصحك الله تعالى ان تكف

(١) احمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحارثى المتوفى ٧٢٨

(٢) المتوفى سنة ١١٩٤

لسانك عن المسلمين فإن سمعت من شخص أنه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به، من دون أنه
فعرقة الصواب وأن لا تدفع على أنه لا تأثير لغير الله فإن أبى فكفره حينئذ بخصوصه ولا
سبيل لك إلى تكفيره - لا عصم من المسلمين وأنت شاذ عن السواد الأعظم فنسبة
الكفر إلى من تدعى - لا عصم أقرب لأنه اتع غير سبيل المؤمنين قال تعالى: (وَمَنْ
يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ،
خَتَمْنَا عَلَيْهِمْ وَلَسَاءَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّصِيراً • النساء: ١١٥) الآية من سورة النساء

«وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» اهـ:

و كذبت نحوه الشيخ سليمان بن عبد الوهاب الذي ألف كتابا في الرد عليه و
سماه: بـ «الصواعق الالهية في الرد على الوهابية»

و هناك مائات من الكتب ألفت كلها في الرد عليه و على دعوته الوهابية ولندكر
من بينها على الخصوص:

١ - الفجر الصادق في الرد على منكرى التوسل و الكرامات و الخوارق. •

٢ - جلاء الظلام في الرد على النجدي الذي اضل العوام.

٣ - ضياء النهار لا يظلم شبه الأنوار.

٤ - الدرر السنية في الرد على الوهابية. •

٥ - شواهد الحق في استغاثة بسيد الخلق. •

٦ - ضياء الصدور لمنكرى التوسل باهل القبور.

٧ - السهام الصائبة لاصحاب الدعاوى الكاذبة.

٨ - النقول الشرعية في الرد على الوهابية. •

فهذه جملة قليلة من قائمة الكتب المؤلفة قديما و حديثا في الرد على الوهابية و على
مبادئها الخاطئة و لم اذكر عبارات مؤلفيها رغبة في الاختصار و خوفا من التطويل.

و بعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية بـ «الدعوة الدموية» و ذلك نظرا الى أنها
متى ما دخلت في عائلة أو في مدينة بادرت - كما هو مشاهد - الى القاء العداوة و البغضاء
بين أهلها ثم لا يلبث أو يكون الخلاف فالخصومة، ثم القتال، و إراقة الدماء.

فالدعوة الوهابية معروفة بهذه الصفات ومقتربة لها منذ فجر ميلادها الى يومنا هذا والتاريخ خير شاهد على صحة ما قلناه.

ونحن لونظرنا الى احوالنا فيما قبل السبعينات اى قبل انتشار هذه الدعوة في ربوع بلادنا ثم نظرنا الى ما هي نحن عليه الآن من التباعد والتحالف والتقاطع من جراء هذه الدعوة، لوجدنا العلماء صادقين في هذه التسمية. ويخشى لو استمر هذا الوضع - لا قدر الله - ان تندلع حروب أهلية ومشاجرات دينية لاسبيل الى التخلص منها.

و أقول فان الدعوة الوهابية مهما بلغت من خطورة في عهد زعمائها الأولين فانها اليوم - و الحق اقول - قد تطورت و بلغت منتهى الخطورة في عهد أتباعهم المعاصرين. و خاصة أولئك الذين نعيش معهم في الزمان والمكان نسمع ونرى ما يقولون وما يفعلون. و انا لو اوافقون من انه لو قدر للشيخ ابن عبد الوهاب ان يعود الى الدنيا ويشاهد هذه الكيفية التي عليها بعض اتباعه اليوم، لتبرأ منهم كما يتبرأ المصلح من المفسد. ذلك لانهم اتخذوا هذه الدعوة كسلاح لمحاربة المسلمين و وسيلة الى قطع الارحام و التفريق بين الأمة

هذا ولم تزل الدعوة الوهابية مقتربة بحصوماتها ونزاعاتها تقتفز من أرض لاخرى حتى وصلت الى جمهوريتنا «مالي» فتسابق اليها التجار والرعاة الذين رفعوها فوق مستواها وغروا بها الشباب والصبيان وبذلوا بكل مالهيم من حول وقوة وظهروا على القضاء بما كان عليه السلف الصالح وعلى انكار اولياء الله تعالى والسادة الصوفية، و رموهم بما لا يليق للاراذل فضلاً عن الفحول الكمل افتراء على الله و اساءوا بهم الأدب و نصبوا مشايخ التربية اصناماً و تلامذتهم عباداً و ذكروا فيهم ما أنزه قلماً عن كتابته و كفى بذلك ظلماً وزوراً، و لم يعلموا ان لحوم أهل الله مسمومة و اكل السم سريع العطب و جاء في الحديث القدسي: (مَنْ عَادَى لِيْ أَوْ آذَى لِيْ وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْخَرْبِ) رواه البخاري و في الحديث النبوي: (إِنَّ اللَّهَ شَرَّفَ الْكُتُبَةَ وَعَظَّمَهَا وَلَوْ أَنَّ عُنْدَ هَذِمَهَا خَجراً خَجراً ثُمَّ أَخْرَقَهَا مَا بَلَغَ جُزْمَ مَنِ اسْتَحَفَّ بِوَلِيِّي مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى)

و عن السؤال متى دخلت الحركة الوهابية الى جمهورية «مالي»؟ و من أدخلها؟ و كيف انتشرت في مدنها وقراها؟

فالجواب: اننا لانعرف بالضبط تاريخ دحوها الى «مالي» ولا أول من دحيتها و لكننا نعرف بالجمعية انها انتشرت هناك بواسطة بعض التجار والرعاة وبواسطة بعض الطلبة المتوسطين ممن لاحتره لهم بالفقه الاسلامي واما بذهاب هؤلاء الى مكة المكرمة إما لأداء فريضة الحج أو للتعمم في مدارس هناك وبعد عودتهم ان أرض الوطن يؤكدون لأهلهم و ذويهم ولكل من تنصل بهم بأنهم قد وجدوا في مكة المكرمة ما يخالف دينهم الذي كانوا عليه أولاً، ويرمونهم بالتأكيد على اتباع هذا الدين وترك ما سواه وبهذا وراء ظهورهم. ويزعمون بذلك أنهم خرجوا من الكفر ودخلوا في الاسلام من جديد فيستحقون بأن يسموا أنفسهم سنيين ومن لم يوافقهم على ذلك فهو عندهم من المشركين.

ومن هنا يتسرعون في الإنكار والتعير ووجهون للوم فتأثروا في الآباء والاحداث و الى رجال الدين وعمماء الامة ويحمونهم المسؤولية ويتألمون في قلوبهم والاعتراض عليهم وربما يصفونهم بالمشركين أو بدعيين!!

وبما ان الناس موعون - عادة - بالتبني الحديدي هذه الحركة قد حطبت قبلاً واسعاً لدى الاوساط العامة. ذلك انهم يرون ان ما يقال عن مكة المكرمة أو بالآخرى ما يصادف فيها قد يكون هو الدين القيم وما عداه هو الضلال البعيد.

وفوق ذلك كله فليس من المعروض شرعاً ان يقتدى جميع المسلمين بأهل مكة بحيث تكون مخالفتهم في بعض المائل المتفهمة خروجاً عن دين الاسلامي. فالمسلم حر في اقتداء أي مذهب من المذاهب لاربعة ساء، وهو حر في اختيار طريقة من الطرق الصوفية أراد، فلا ذنب عليه في ذلك ولا عيب

الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع

ان تأثير الحركة الوهابية في مجتمعنا الوطنى لأمر يبعث الى القلق ويهدد مستقبل المواطنين و ذلك لمنعها اياهم التمتع بحسن الجوار و احترام بعضهم بعضا .

وقد ظهر للعيان توتر العلاقات الاخوية و قطع الوفاق بين ذوى القربى و اولى الارحام كما شوهد تغير الاحوال الاجتماعية من حسنة الى سيئة و من سيئة الى أسوأ نتيجة لانفجار الثورة الوهابية فى الآونة الاخيرة، وليس من السهل التغلب على هذه الظروف الحرجة التى نعانىها فى الوقت الحاضر، و التى احدى يفر فيها المرء الوهابي من اخيه الغير الوهابي بل و من أبيه و امه و كل أصحابه يفر منهم فى حين لا ذنب لهم سوى انهم انخرطوا فى سلك السادة الصوفية أو رفضوا التعصب للدعوة الوهابية.

فالقادة الوهابية فى هذا البلد مازالوا مصممين على أن من لم يكن وهابيا فهو مشرك يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين أو الدنيا .

و على هذا يمكن القول بان الدعوة الوهابية - اذا كانت هذه شأنها - فهى متمسكة بأفكار خاطئة و مزاعم باطلة لا تتفق و الحقيقة الواقعة. فلو نظرت بشئ من التأمل الى قادة هذه الطائفة ثم قارنت بين أقوالهم و أفعالهم علمت يقينا بان لهم اهدافا و غايات تدفعهم الى التوسع فى قدح اعراض المسلمين و هتك حرمانهم و الاعتداء عليهم بالظلم و العدوان.

فمن اهدافهم: التفريق بين الامة الاسلامية لينتهزوا فرصة تضليل العوام و استغلالهم باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية.

اما الغاية التى يسعون الى تحقيقها هى اثبات السنية لهم خاصة، و تكفير جماعة المسلمين من غيرهم.

و هذا ان دل على شئ فإنما يدل على سوء الظن بالمسلمين او عدم معرفة الاسلام بالوجه الذى حدده الرسول عليه السلام و معلوم انه صلى الله عليه و سلم كان قد سئل عن الاسلام فأجاب: (هُوَ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ وَتُؤْتِيَ

الرَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتُحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) أخرجه الترمذى

و من هنا نتحقق خطأ اولئك الذين يكفرون المسلمين عمداً أو جهلاً بعد ما بين الرسول عليه السلام ما يجنب المرء مسلماً وبعد ما نهى عن تكفير المسلم.

والادلة الواردة للرد على مزاعمهم أكثر من ان تعد أو تحصى. فقد منع الرسول صلى الله عليه وسلم تكفير المسلم في عدة أحاديث منها: قوله عليه السلام: (إِذَا قَالَ الْقَرْءُ لَا حِيَةَ بَاكَافِرٌ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا) رواه مالك والبخارى والترمذى

وقوله: (لَا يُكْفَرُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتَيْنِ) وقوله: (أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِقَاءَهُمْ وَأَفْوَالَهُمْ إِلَّا فِي حَقِّ الْأَسْلَامِ. وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) رواه البخارى ومسلم وقوله عليه السلام: (الصَّلَاةُ عِمَادُ الدِّينِ مَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ وَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ) رواه البيهقى وقوله: (مَنْ كَفَرَ مُسْلِمًا فَقَدْ كَفَرَ) لى غيره من الأحاديث المتواترة فكل واحدة من هذه الأحاديث تقتضى بأن لا يكفر المرء مسلماً مهما اغترب من ذنب

ونحب استعجب كيف يتحاهل الوهابيون كل هذه الحقائق النبوية؟ وكيف يسمهم مخالفة الرسول فى التمييز بين المسلم والكافر؟ وقد قال تعالى: (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ قَصِيرًا) النساء (١١٥)

هذ لقد عمدنا بمقتضى الأحاديث الآتفة الذكر بأنه لا يجوز تكفير المسلم الذى يؤمن بالله ورسوله ويؤدى قواعد الاسلام الخمس على الوجه المشروع.

فإذا كان العلماء قد أجمعوا على ان الكافر اذا قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله مرة واحدة قد دخل فى الاسلام، له ما للمسلمين من حقوق و واجبات. فكيف بمن ولد فى الاسلام ونشأ فيه ورضى به ديننا وهوىكررهذه الكلمة فى اليوم أكثر من مائة مرة؟ فكيف يجوز تكفيره؟ مع العلم بأن الناطق بالتهادتين — فى حكم الشريعة الاسلامية — يعتبر مسلماً بغض النظر عن حفايا قلبه فبعلم ذلك يخص الله وحده وجاء فى اسهل المسالك قوله: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَمَّتِ ... كُلُّ أَمْرٍ إِيْمَانُهُ كَالدَّرَةِ)

وقال شراح هذا البيت: يجب الايمان بأن رحمة الله تعالى تعم كل أحد مات من

الانسان والخن ولم يكن له عمل صالح سوى الايمان بالله فقط...
 ثم نتساءل اذا لم تكن الفواعد الاسلامية الخمس تمييزاً للمسلم اذن فأين يوجد
 المسلم؟ وما الذى يجعل المرء مسلماً؟ وما هى علاماته و مميزاته؟
 فعلى القادة الوهابية ان يفهموا بأنهم مخطؤون و هذه الناحية وعليهم ان يتراجعوا
 عن هذه المعتقدات الفاسدة، و ان يفهموا بان الاسلام ليس ملكاً لأيمانهم فيدخلون فيه من
 يريدون، او يخرجون منه من يشاؤون. فليتحققوا بأن الاسلام إنما يسير دائماً على نهجه
 الواضح المستقيم و على حسب البرنامج الذى وضعه الشارع الأمين صلى الله عليه وسلم
 الذى هو لا ينطق عن الهوى.

ولا يخفى على احد منا موقف الوهابيين المتصلب المعارض لجمهور العلماء و
 المتمثل فى الشعارات المضللة و الدعايات الكاذبة. هبهم حاطين حين رعموا ان الناس
 جميعاً قبل هذه الدعوة كانوا على ضلال و معصية. و أنها هى الدعوة الوحيدة التى تعنى
 بإحياء السنة النبوية و المحافظة على التوحيد. عفا الله عنهم من هذه المزاعم اللاحقيقية
 التى لا حجة لهم بها ولا اساس لصحتها.

فنحن نستغرب جداً كيف تصور لهم أو هامهم هذه المزاعم العقيمة؟ فمن أين
 لهم تضليل الأمة الاسلامية جميعها أو تكفيرها مالم تعتقد العميدة الوهابية؟ فكيف حال
 الامة فى نظرهم قبل ميلاد الرعيم الوهابى و قبل انتشار دعوته الحديثة؟ فهل الشيخ ابن
 عبد الوهاب هذا الاكواحد من افراد الشريصيب و يخطئ؟ أم هو عداد المعصومين
 من الأنبياء والمرسلين؟ وهل من العداة ان يصدق هو وعفرده و نتبعه ثم يكذب غيره من
 اكابر العلماء و جهابذة الفقهاء؟

فهذا أمر لا يمكن — فى اعتقادى — ان يفعله عقل مفكر مهما كان صاحبه غارقاً
 فى بحر التعصب، و كيف ما كان مغروراً...

و على ضوء هذه الحقائق فإن اقرب دليل لرد عبيهم و على احباط مراعاتهم قوله
 عليه الصلاة والسلام: (لَا تَخْتَمِعْ أَقْبَىٰ عَلَىٰ ضَلَالَةٍ) احرجه الترمذى عن ابن عمر و قوله:
 (لَا تَرَأَىٰ ظَانِفَةً مِنْ أَقْبَىٰ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَصُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ) رواه الحاكم.

و من اعظم خطيئهم بعد تكفير المسلمين إكثارهم على ولياء الله و كراماتهم مع

أنهم يصدقون بالاختراعات العصرية كالاذاعات والتلفزات والصواريخ و الهواتف السلكية واللاسلكية وغيرها من الآلات الكهربائية التي تحير العقول ، والتي لم يكن الانسان الاول يحلم بها ولا يكاد يصدق بإمكان وجودها فهلا يؤمنوا بأن الذى اعطى لعمل السرى المهارة على حتراف هذه الاشياء العجيبة ، قادر على ان يعطى لأوليائه من الكرامات و حوارى العادات ما لا يدركه الفهم ولا يصل إليه القياس . وهو سبحانه و تعالى (قَالَ لِمَا يُرِيدُ الْبَرُوحُ ١٦) و(وَلَا يُسْئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ * الْاَنْبِيَاءُ ٢٣)

وعلى الرغم من تبوء هذه الادلة فهالك جماعة غير قليلة من الوهابيين ينكرون على أولياء الله و كراماتهم ويرفضون حصول الكرامات و الخوارق لهم ، زعما بأن مثل هذه ، ائمه يحصل للأنبياء خاصة دون غيرهم من أفراد البشر، ويزلون هذه الكرامات و الخوارق، منزلة السحر أو الكهانة. ولهم في ذلك اقوال اعتذر عن حكايتها مراعاة للادب و لعدم مناسبتها لخصرة أولياء الله تعالى اللهم الا ان أقول سألنا الله و إياهم ، وأقال عثرنا . وعثراتهم ولا يدري هؤلاء المقصرون بأن ما حار للنبي معجزة يجوز للولى كرامة و أن كرامات الاولياء و خوارقهم ثابتة في الكتاب و السنة. وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع. منها قوله عز وجل في الاخبار عن السيدة مريم رضى الله عنها: (كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا * آل عمران : ٣٧) و كان يجد عندها فاكهة الصيف في لشتاء و فاكهة الشتاء في الصيف. وقوله لها: (وَهَرَى إِلَيْكَ بِجِدْعِ النَّحْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * مريم : ٢٥) و كما ذكر لقرآن قصة المرسلين الذين أرسلهم نبي الله عيسى عليه السلام الى أهل بطركية ليدعوهم الى عبادة الله فصاروا يبرؤن الأكمه والأبرص و يحيون الموتى بإذن الله و ذلك كرامة لهم و معجزة لنبيهم عيسى بن مريم عليه السلام [١] و قد بين كتاب الله العزيز كثيرا من الكرامات و الخوارق التي وهبها الله لبعض أوليائه و خصائصهم العلمية و العملية.

و منها ان نبي الله موسى كان تلميذاً للسيد حضر عليهما السلام و كان قد استصحبه مدة من الزمن ليستفيد منه بعض العلوم. (قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُسُلًا * الكهف : ٦٦) و أن آصف بن برخيا أحضر لنبي الله سليمان

(١) و ذلك عند قوله تعالى (واضرهم من ملاء اصحاب القرية اد جاءها المرسلون * يس : ١٣)

عليه سلام عرس نفيس في قل من صرفة عن وقد كن هدهد يده على الماء.

فكن هدهد كرمات و حورق ننته اكتب كريمة بحيب لا تمك انكرها ولكن
مع هدهد كرمات فلا عصي نوب هدهد كرامات فضيلة لأولياء على الأسياء - كما يتوهمه
بعض الجهول - بل هي مئة من به به عنهم بصورة مزية ولا يستغرب ذلك فقد يوجد في
أنهر ما يس في أنحر وقد اقتضت حكمة الله على أن يكون بمقصود ما ليس بالفصل.
و معهود أن بهمة مراتب لأولياء هي بة مراتب لأسياء فلا مصمم للولي أن
يصل أن عذر سبي فصلا عن أن مائة ويفصل منه. ولكن فمن ألوجب عينا أن نحترم
أولاء الله على و يصدق كراماتهم و بعمه أن ين أيد لأسياء بالمعزات هو الذي أيد
الأولياء بالكرامات فالكرامات فروع من معزات الأسياء فكل كرامة لها ولي لها هي
من معزات بيبه وكذلك كرامة أولياء هدهد لامة فهي من معزات سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم.

وذلك أن نكر الكرامات نكر للمعزات و نكر المعزات يكذب للرسل
و هو من أكثر أصرح و عياد دامة. فلا ينبغي نكسهم - وأحال هدهد - أن ينكر على
كرامات لأولياء مهم بعد أن خص بة به يؤتيه من بة لا عترض ولا شك أن
الجهل خير من علم يؤدي الى انكار أولياء الله و كراماتهم.

فكل ما يحذر احود سلسل دامة، و الوهابين حاصة، أن يكفوا عن أذية أهل
الله و لكن خومهم. و أن لا ينادرو أن معارصتهم في بة مسألة من لمسائل فقهية
لكوبهم أحذر من أن يكونوا على حجة و بصيرة مما هم فيه ولو انه مخالف للطاهر و قد قيل:
(فَسَلِّمْ لِأَهْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ مُسْكِلٍ .: لَدُنْكَ لَدُنْهُمْ وَاضِحٌ بِالْأَدْلَةِ)

هذا ولا يخور لأحد مهم أن عذر أن ينكر الشيء على ساس عدم وجود ذلك في
علمه، لأن حوامع العلوم به تنور لأحد سوى الرسول صلى الله عليه وسلم.

و به أواحبه عليه قبل السروع في لا نكر به بعرضه على طرق الشريعة كلها و
لتنى سار سبها - رسول صلى الله عليه وسلم بقوه: (إِنَّ شَرِّ عَيْنِي خَافَتْ عَلَى ثَلَاثِمِائَةٍ وَ
بِسْتَنْ ظَرِيفَةً مَا سَلَكَ أَحَدٌ مِنْهَا ظَرِيفَةً إِلَّا نَجَا.)

فإن لم يعرضه على هذه الطرق أولم تكن له معرفة بها أصلاً، ففى إنكاره خطر عظيم. وقال العارف بالله: [١]

وقال آخر: وَقُلْ لِمَنْ يَدَّعِي عِلْماً وَمَعْرِفَةً

حَفِظْتُ شَيْئاً وَغَابَتْ عَنْكَ أَشْيَاءُ

ويستفاد من الحديث المذكور أنه لا يجوز اتهام المسلم العارف ولا إنكاره مالم يخالف طرق الشريعة كلها، كما فعل ذلك عبد الرحمان الافريقى، الذى سولت له نفسه الامارة بالسوء أن يؤلف كتاباً فى النقد على الطريقة التجانية والمهجوم على شيخنا وسيلتنا الى ربنا أبى العباس أحمد بن محمد التجانى^(١) وعلى خليفته المجاهد فى الله الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما وقد سمي كتيبه هذا: بـ «الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التجانية» وهو مطبوع يوزع مجاناً الى كل من يريده من المعارضين والمنتقدين لذلك يسمى الوهابيون للحصول عليه ليزدادوا بغضا وحقدا للسادة الصوفية بصورة عامة و للتجانيين بصورة خاصة...

وانا شخصياً لن اهاجم على عبد الرحمان الافريقى ولا أنتقم منه لعلمى بأنه إنما يحارب الله ورسوله بمعاداته لأولياء الله وأصفياه. بدليل قوله تعالى فى الحديث القدسى: (مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ) رواه البخارى. وخصوصاً هذا الولى الربانى والعارف الصمدانى الشريف الحسنى أحمد بن محمد التجانى رضى الله عنه وارضاه الذى هو يعتبر واحداً من أبرر علماء الاسلام وعلماء من اعلام الشريعة والحقيقة. فشرفه الدينى والنسبى، وتاريخه الحافل بالنشاطات الدينية والتوجيهات الربانية بالاضافة إلى مرتبته الموهوبة والمكسوبة يغيينا عن الدفاع عنه والاحتجاج له فمناقبه رضى الله عنه ومواقفه واضحة ولا تحتاج الشمس الى دليل.

اما إنكار عبد الرحمان الافريقى على الطريقة التجانية ومبالغته فى النقد عليها وعلى خاصة أصحاب الشيخ رضى الله عنهم فهو كما قيل: «وَأَذَا أَتَيْتُكَ مَدَّيْتَنِي مِنْ نَاقِصٍ» فَمِنَ الشَّهَادَةِ لِي بِأَنِّي كَايِلٌ» او كقول الامام البوصيرى رضى الله عنه. «قَدْ تُكْرِ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ • وَيُتَكَبَّرُ الْفَمُ طَعْمَ الْمَاءِ مِنْ سَقَمٍ»

هذا وتتوفر لدى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه شواهد الكمالات الحسية و

(١) وهو السيد الحاج مالك رضى الله عنه فى كتابه فاكهة الطلاب ...

(٢) المتوفى ١٢٣٠ هـ.

المعنوية و حسبه فحرا كونه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم يكن فيه غير هذا التعريف الذهبى لكفى.

فمن كانت هذه سيرته وهذا تعريفه لا يمكن لعبد الرحان الافريقى وأمثاله ان يدنسوا عرصه او يشوسو سمعته ولا يتصرروا المر بفتح الكلاب

و اعرف يقينا بأن تأليفه لهذا الكتاب سيمثل له كالباحث عن حثفه بظلفه، و أنه سيجاسب عليه لما فى الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً سَبَّحَ فَعَلَبَهُ وَرَرَهَا وَوَزَّرَ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

وهذه المؤلفة من أسوأ المحدثات لما فيها من المنشورات الفظيعة والعبارات الشنيعة الموجهة مباشرة إلى الشيخ أحمد التجانى، وإلى الشيخ الحاج عمر الفتوى رضى الله عنهما. و التى تهدف إلى تشويش سمعة الطريقة التجانية و إلى تجميدها و تحريفها عن موضعها.

و إذا كان هذا التأليف لا يأمرنا إلا بترك الطريقة التجانية التى مدارها الاستغفار، و الهيلة، و الصلاة على النبى. ولا ينهانا إلا من محبة السادة الصوفية و موالاة أولياء الله تعالى. فما الفرق — يا ترى — بين هذا المؤلف المسبوق و بين أولئك الذين يأمرون بالمنكر و ينهون عن المعروف..

و هناك من الوهابيين من اعرف أسماءهم و ألقابهم يأخذون «كتاب جواهر المعانى» إلى الاسواق و إلى أنديةهم العامة رغم مستواهم السافل فى العلوم و الثقافة فيشرعون فى مطالعته، جاهلين او متجاهلين عن مستوى هذا الكتاب الرفيع و ينظرون إليه بعين لانكار و النقد و الاستهزاء و يؤولون عباراته بأقبح التأويلات حين لا يعرفون أن لأولياء كلاما لا يفهمه إلا الخواص و رحم الله من قال:

«كَلَامُ الْأَوْلِيَاءِ لَسْتُ أَفْهَمُ ۝ لَا نَبِيَّ أَنَا أَرَوْهُ هُمْ»

و يقول هؤلاء فى الشيخ أحمد التجانى رضى الله عنه — على مرأى و مسمع من الناس — ما هو بريئ منه. و يخوضون فى قدح عرضه، و هتك حرمانه ما أمكن لهم الخوص و يتسافسون فى ذلك حسب و قاحتهم و عبادهم ويمكرون به، و بطريقته ويمكر الله بهم و هو خير الماكرين وهكذا شاءت الإرادة الالهية ان يكون لأولياء الله فى كل زمان و مكان

أعداء يتحربون صدهم و يتأمررون - ليطفثوا نور الله بأفواههم - ويقولون في حقهم منكراً من القول و زوراً و يأتي الله إلا ان يتم نوره ولو كره متأمررون.

و قد كانت هذه المرقعة المتطرفة اليد الطولى في هذا المضمار لما جبل أفرادها من الشغف لظعن بأولياء الله و قدح اعراضهم و هتك حرمتهم و إساءة الأدب بهم بصفة لامبرر لها ولم يسبق لها مثيل.

الوهابية و منعها التوسل بالأنبياء و الصالحين

قبل الشروع في تفاصيل هذا الموضوع و البحث عن أحكامه و أهدافه يجب أن نعرف أولاً أنه هو الموضوع الرئيسى الذى يمثل جوهر المشككة و لب الخلاف بين الوهابيين المتطرفين و المسلمين المعتدلين. ذلك لأن الوهابيين ينعون التوسل بالأنبياء و الأولياء و الصالحين و يببالغون في نفية و انكاره بل و يحرمونه اطلاقاً و يزعمون انه من الشرك بالله. و يحملون جميع الآيات القرآنية النازلة في المشركين و من يعبدون الأصنام على المتوسلين و المستغيثين بالأنبياء و الصالحين. فمن هذه الآيات قوله تعالى: (وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) الاحقاف ٥: (و قوله حل شانه: (فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا الجن: ١٨) وقوله: (وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِدَا مِنْ الظَّالِمِينَ يونس: ١٠٦)

و يزعمون أن كل من ستغاث بالنسب صلى الله عليه و سلم أو توسل به أو بغيره من الأنبياء و الأولياء و الصالحين أو ناداهم أو سألهم الشفاعة يكون معدوداً في جملة هؤلاء المشركين و داخلأ في عموم وعيد هذه الآيات. و هو عندهم بمنزلة من يعبد الأصنام، و يتخذ من دون الله شركاء. و من هنا تارت تائفة العداوة و الخلافات و قامت القيامة بين أفراد المسلمين و جماعاتهم بصفة لا يمكن تسويتها طالما يُصر الوهابيون على هذا الموقف المتطرف المتمثل في تضليل الأمة و تكفيرها و المتعارض لنصوص الكتاب و السنة و الاجماع.

والوهابيون - في هذا التأويل البعيد - معذرون من حيث الخطأ في فهم معنى كلمة «الدعاء» التي تأتي حيناً بمعنى العبادة وأحياناً بمعنى الداء وظنوا أن هذه الكلمة في جميع هذه الآيات وما أشبهها معناها النداء لا غير. ولذلك يحرمون نداء غير الله كما تحرم العبادة من دونه تعالى. وحيث ذهبوا هذا المذهب ووقفوا عند هذا الحد فهم مقصرون عن ادراك كُتُب هذه الكلمة لغةً واضطلاحاً فيجب أن نعذر لهم أو ننذرهم.

وكلمة الدعاء في اللغة العربية لفظ مشترك بين عدة معانٍ:
 منها: العبادة كقوله تعالى: (أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً * الجن: ١٨)
 ومنها: النسبة كقوله تعالى: (ادعوهم لآبائهم * الاحزاب: ٥) أي اسبوههم اليهم
 ومنها: النداء كقوله تعالى: (وادعوا شهداءكم من دون الله * البقرة: ٢٣) أي نادوهم

ومنها: السؤال كقوله تعالى: (ادعوني استجب لكم * المؤمن: ٦٠) أي إسألوني
 ومنها: الدعوة إلى الشيء كقوله تعالى: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة * النحل: ١٢٥) الآية
 ومنها: التمني كقوله تعالى: (ولهم ما يَدْعُونَ * يس: ٥٧)
 ومنها: القول كقوله تعالى: (دعواهم فيها سبحانك اللهم * يونس: ١٠)
 ومنها: التسمية كقوله تعالى: (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً *
 النور: ٦٣)

وليس في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية أن كلمة الدعاء تأتي بمعنى التوسل وقد تحقق أن معنى التوسل غير معنى العبادة لغةً وشرعاً. ولا سبيل إداً إلى تكفير المسلمين المتوسلين بجاه الصالحين بالقياسات الفاسدة اه فتأمل.
 وكلمة «الدعاء» في جميع هذه الآيات الآفة الذكر وما أشبهها معناها العبادة لا النداء.

ولا يخفى أن نداء غير الله تعالى كنداء الإنسان حياً أو ميتاً يجوز شرعاً وضروري أيضاً لتعلقه على الحوائج الشرعية والمعاملات الدينية والديوية وقد جاء نداء الأموات من الأحاديث الواردة في زيارة القبور كقول الزائر: (السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْقُبُورِ السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَآجِقُونَ) ففي هذا النداء للأموات

خطابهم. وإنما يجب ان غيز بين كلمة «الدعاء» التى بمعنى العبادة التى بمعنى النداء، كيلا نضل ولا نُضل...

اما التوسل فجائز شرعا ومرغوب فيه أيضا لانه من فعل الأنبياء والسلف الصالحين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وقد توسل ابونا آدم بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لما فى الحديث: (لَمَّا افْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ يَا رَبِّ اَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ اِلَّا مَا عَفَرْتَ لِي فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ كَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ اَخْلُقْهُ قَالَ يَا رَبِّ إِنَّكَ لَمَّا خَلَقْتَنِي رَفَعْتَ رَأْسِي رَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا «لَا إِلَهَ اِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُوْلُ اللَّهِ» فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُصِفْ اِسْمَكَ اِلَّا أَحَبَ الْخَلْقِ اِلَيْكَ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لَأَحَبُ الْخَلْقِ اِلَيَّ وَإِذَا سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ) رواه الحاكم وصححه الطبرانى.

والى هذا الحديث أشار الامام مالك رضى الله عنه للحليفة المنصور لما سأله وهو بالمسجد النبوى فقال لمالك يا أبا عبد الله أستقبل القبلة وأدعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعوه؟ فقال له الامام مالك رضى الله عنه ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى بل استقبل واستشفع به فيشفعه الله فيك...

وأما صدور التوسل من النبى صلى الله عليه وسلم فقد صح فى احاديث كثيرة منها قوله: (اَللّٰهُمَّ اِنِّىْ اَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِيْنَ عَلَيْكَ)

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه لما ماتت فاطمة بنت أسد أم على ابن أبى طالب رضى الله عنهما لحدّها صلى الله عليه وسلم فى القبر بيده الشريفة وقال: (اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّى فَاِطْمَئِنِّ اَسَدٌ وَوَسَّعْ عَلَيْهَا مَدْحَلَهَا بِحَقِّ نَبِيِّكَ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِى إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ)

وكان الصحابة يتوسلون برسول الله فى حياته وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم. وقد روى البيهقى وابن أبى شيبة باسناد صحيح: ان الناس اصابهم قحط فى خلافة عمر رضى الله عنه فجاء بلال بن الحارث رضى الله عنه الى القبر الشريف وكان من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله استسق لامتك فانهم هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام واخبره انهم يسقون وكان كذلك.

فإتيان هذا الصحابي الجليل الى القبر الشريف ونداءه للمرسول عليه السلام ليطلب منه ان يستسقى لامته فهو دليل آخر على أنه جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم وذلك من اعظم القربات وروى عن أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس ابن عبد المطلب وقال: «اللهم انا كنا نتوسل اليك نبينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا» قال فيسقون انتهى وفعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حجة على التحقيق لقوله صلى الله عليه وسلم في حقه: (إِنَّ اللَّهَ جَمَلَ الْحَقِّ عَلَى لِسَانِ غَمَزٍ وَقَلْبِهِ)

ومما ذكر في هذا الباب دليل على ان التوسل بالأموات وخاصة عند أضرحتهم جائز لفعل بلال بن الحارث رضى الله عنه ذلك، عند القبر الشريف.

وكذلك التوسل بغير الأنبياء جائز هو أيضا لموافقته، بفعل سيدنا عمر بن الخطاب. الذى توسل الى الله بسيدنا عباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه ...

ومن ادلة جواز التوسل قصة سواد بن قارب رضى الله عنه التى رواها الطبرانى فى الكبير وفيها ان سواد بن قارب أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة قال فيها:

«وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ أَذْنَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلَةٌ
وَأَنْتَ مَأْمُونٌ عَلَى كُلِّ غَائِبٍ إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطْيَابِ

وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَأَدُوشَفَاعَةٌ
بِمُغْنٍ قَتِيلًا سَوَادِ بْنِ قَارِبٍ»

فلم ينكر عليه رسول الله قوله أذنى المرسلين وسيلة ولا قوله وكن لى شفيعا. و كذلك من أدلة التوسل مرثية صفية بنت عبد المطلب رضى الله عنها عمة رسول الله فانها رثته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم بأبيات قالت فيها:

«أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْتَ رَجَاؤُنَا
وَكُنْتَ بَقَا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا»

ففيها النداء بعد وفاته ولم ينكر عليها أحد من الصحابة قوله يا رسول الله أنت

رجاؤنا. وقد ذكر العلامة ابن حجر^(١) في كتابه المسمى بالخيرات الحسان ان الامام الشافعي كان يتوسل بالامام ابي حنيفة رضى الله عنهما وقد ثبت ايضا ان الامام احمد بن حنبل كان يتوسل بالامام الشافعي وقد صح ان الشافعي رضى الله عنه توسل بأهل البيت النبوي بأبيات قال فيها:

«آلِ النَّبِيِّ ذَرِيعَتِي أَزْجُوهُمْ أَغْطَى غَدَا
لَهُمْ إِلَيْهِ وَسِيلَتِي بِيَدِي الْيَمِينِ صَحِيفَتِي»

فكل هذه توسلات صريحة صدرت بعضها عن رسول الله عليه وسلم وبعضها عن أصحابه الكرام وعن الأئمة المجتهدين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين وليس في ذلك كفر ولا اشراك ومن تتبع أذكار السلف الصالحين وأدعيتهم وأورادهم وحد فيها شيئا كثيرا من التوسل ولم ينكر عليهم احد في ذلك حتى جاء هؤلاء المكرون الذين عمدوا الى تحريمه وتوصلوا بذلك الى تكفير أكثر الأمة من العلماء والعباد والزهاد وقالوا انهم مثل اولئك المشركين الذين قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى * الزمر: ٣) «سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»

وحاصل شهة هؤلاء المانعين للتوسل انهم رأوا بعض العامة يأتون بألفاظ توهم انهم يعتقدون التأثير لغير الله تعالى ويطلبون من الأولياء — احياء وأمواتا — اشياء حرت العادة بأنها لا تطيب الا من الله تعالى ويقولون للولى مثلا: افعل لى كذا وكذا او نجنى من كذا وكذا فأراد هؤلاء المانعون للتوسل ان ييمعوا العامة من تلك التوسعات دفعا للايهام وسدا للذريعة.

نعم نحن نوافق مع هؤلاء المانعين في ناحية ونؤيدهم على منع العامة من تلك التوسعات المتطرفة ونقف بجانبهم في سد ذرائع الفساد ودفع الايهام. ولكن من ناحية اخرى نقول لهم:

اذا كان الأمر كذلك وقصدكم سد الذريعة فما الحامل لكم على تكفير الأمة عالمهم وجاهلهم؟ وما الحامل لكم على منع التوسل مطلقا؟ بل كان يسعى لكم أن تمنعوا

العامّة من تلك الألفاظ الموحمة وتأمروهم بسلوك الأدب في التوسل دون تكفيرهم أو إشراكهم مع أن تلك الألفاظ يحث حملها على المحار العقل وهو حائر ومستعمل على السنة جميع المسلمين ووارد في الكتاب العزيز والسنة المطهرة. ألا ترى أنه يجوز لأحدنا أن يقول أعطاني فلان كذا ومضى فلان عن كذا، أو بمعنى ريد أو صرنى عمر، مع النعم بأن الله تعالى وحده هو المصارو النافع وهو المعطى والمانع فإستناد هذه الأفعال إلى غير الله تعالى يعتبر محاراً عقلياً لا يؤدي بمقائله إلى الكفر ولا إلى الشرك وله شواهد كثيرة في الكتاب والسنة. منها قوله تعالى: (وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ • طه: ٨٥) وقوله: (وَقَتْلَ دَاوُدَ خَالُوتَ • البقرة: ٢٥١) فإستناد الاضلال والقتل هنا إلى السامري وإلى داود محاري. وإلا قال الله تعالى وحده هو المصل والمحب وجاء في الحديث كما في صحيح البخاري في محث الحشرو وقوف الناس للحساب يوم القيامة. (يَسْمَعُ لَهُمْ كَذْبَكَ إِشْتَغَاوْا بِآدَمَ ثُمَّ يَمْوَسُ ثُمَّ يُمْغِدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فإستناد الاستغاثة إلى هؤلاء الأنبياء محاري والمستغاث به، حقيقة هو الله تعالى وحده.

فهذه كلها أدلة ثابتة وبراهين قاطعة لجوار التوسل والاستغاثة بالأنبياء والأولياء والصالحين. وفيها الكفاية لمن أراد الله له الهداية والتوفيق وأما من انطمرت بصيرته وانسدت حواسه. فما تغني عنه الآيات والندرولا يفيد الوعظ والتذكير. ونحن في توسلنا بالأنبياء والأولياء لا نعتقد أنهم يستحقون العادة ولا أنهم يخلقون شيئا أو يملكون صرا أو نفعاً، ولا نعتقد أن لهم تأثيراً في شيء من الأشياء وكلما هنالك يسا وبين الأولياء إنما هو احترام فقط غير خارج عن حدود مرتبة المخلوق الموجود من العدم والمائد إلى الفناء. لا كتعظيم الخالق المعبود الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. عندنا بهم لا معنى سوى التبرك بأسمائهم، والاستئناس بدكرهم لكونهم عباداً مكرمين، اصطفاهم الله وهداهم، وحصمهم محظوة من عنايته الربانية، وفيضة من نعماته الرحامية، فذكركم تنتزل الرحامات. وبه نحبي القلوب وتنشط العضلات.

وهذه هي غاية ما نقصد في التوسل بالأولياء والصالحين وليس فينا من يركع أو يسجد لنبي، أو لولي، أو لشيخ! ولكننا لانعد إلا الله ولا ندعو إلا إياه. وفي الحديث: (إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِغُلٍّ أَمْرِي قَاتَوِي) ونحن نحمد الله تعالى من المؤمنين

الموحدين بكل ما للكلمة من معنى.

فالتوحيد عقيدتنا والعمل به، شريعتنا فلن نحيد عن عقيدتنا ولن نهين بشريعتنا. (وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ • يوسف: ٣٨) اما أولئك الوهابيون الذين يتظاهرون بالذب عن التوحيد و يجوزون التوسل بالأحياء والاستعانة بهم في أمر من الامور الدنيوية و يحرمون ذلك في الأموات قد دخلوا في الشرك من حيث لا يشعرون لكونهم اعتقدوا تأثير الاحياء دون الاموات مع أنه لا تأثير لاحد في الحقيقة حياً كان او ميتاً وإنما المؤثر الحقيقي هو الله تعالى وحده...

فليستبه الوهابيون هذه الحقائق و ليعلموا أن ليس في هذه التوسلات ما يستلزم تكفير المسلم، الذى يشهد أن لا اله الا الله و أن محمداً رسول الله. ولزيد من التوضيح في هذا الموضوع فإن متكرى التوسل بالانبياء و الصالحين قد لا ينكرون على مناسك الحج التى فرضها الله علينا و التى من بينها: الطواف بالبيت العتيق و تقبيل الحجر الاسود والسعى بين الصفا و المروة و الوقوف بعرفات.

و معلوم ان هذه الاشياء ليست إلا جمادات لا تضر و لا تنفع ولكن قد شرفها الله تعالى و عظمها وأمرنا كذلك بتعظيمها و التبرك بها و الدعاء عندها بجميع حوائجنا الدنيوية و الاخروية.

و نحن نعلم علم اليقين بأنها لا تأثير لها في قضاء الحوائج ولا قدرة لها على صرف الاقدار ولكن هل يقال ان من قصدها أو تضرع لديها قد كفر بالله أو اشرك به؟ لا! و كلا!

فاذا كانت الجمادات قد حازت هذه الفضائل بمحض فضل الله و إرادته فكيف بأنبياء الله و أوليائه، الذين هم سادة الخلق و قادة الانام فعند ذكرهم تنزل الرحات و بسبب وجودهم ترفع التقمات.

هذا و من الخطأ الواضح ما زعمه الوهابيون و عقدوا عليه العزم و هو ان نداء الأنبياء او الأولياء نوع من انواع الترك لانه نداء لغير الله و يقولون بأن ظاهر النداء لا بد و ان يدل على ان المناذرى يعتقد من المناذرى به القدرة او التأثير. و حينئذ فاعتقاد القدرة او

التأثير من احد غير الله تعالى شرك لاعمالة.

نعم قد يكون هذا الرأي الخاطئ وهو الآخر من جملة أوامهم التي خالفوا بها الاجماع. ولكن لو استسلمنا بحكم هذه القاعدة فلسوف نجد ان ظاهر الصلاة والصيام والنطق بالشهادتين يدل هو ايضا على الايمان بالله والتصديق بما جاء به الرسول الكريم. و إذن فما بال هؤلاء الوهابيين الذين قرروا ان يكفروا المسلمين بظاهر النداء، وقد عجزوا ان يعترفوا لهم الاسلام بظاهر الصلاة والصوم والنطق بالشهادتين. فهل هذا — ان صح التعبير — إلا نوع من الجمود. أو اثر من آثار الجهل الذى هو أشد من الكفر...

و خلاصة الكلام: فان المحذور شرعا فى التوسل هو اعتقاد التأثير من احد غير الله تعالى كائنا من كان وهو شرك اتفاقا سواء كان ذلك الاعتقاد فى نبي او ولى او صالح أو حيوان أو جماد اوفى أى شئ كائن ما كان وأما من لم يعتقد التأثير فى احد غير الله تعالى فلا إثم عليه وليس فى مجرد التوسل والاستغاثة بالأنبياء والصالحين ضرر مادام الاعتقاد سالما.

اما محبة أولياء الله تعالى والصالحين وصحبهم الله والتصدد لخدمتهم والتادب لهم والتبرك بهم فكلها جائز لا يمنعها التسرع بل يأمر بها ويحث عليها لانها من اعمال البر الموجبة للفوز والسعادة فى الدارين. ولا ينكر ذلك منكر لثبوتها بالأدلة العقلية والنقلية المتواترة. و أصدقها قصة كلب أهل الكهف الوارد ذكرها فى القرآن الكريم... وإن شئت فاقرأ قوله تعالى: (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا) الكهف: ٩)

فإن هذا الكلب لم يصل الى هذه المرتبة إلا بصحبة الصالحين ومحبتهم لقد احسن من قال:

«وَ اخْتَرْنَا مِنَ الْإِخْوَانِ كُلَّ مَهْتَدٍ
إِنَّ الْقَرِينَ بِالْقَرِينِ يَفْتَدِي»
«وَصُحْبَةُ الْآخِيَارِ لِلْقَلْبِ دَوَاءٌ
تَرِيدُ فِي الْمَرْءِ نَشَاطًا وَقُوًى»

واخيراً نحتم هذا الموضوع بتحذير أولئك الذين يكفرون المتوسلين والمستغِيثين بالأنبياء والصالحين ان يكفوا عن ذلك لانه قد يفضيهم الى ارتكاب الذنوب ويؤدى الى

تكفيرهم لجميع الامة او اكثرها وهو مستحيل لقوله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ
لِلنَّاسِ * آل عمران: ١١٠) الآية من سورة آل عمران و لقوله عليه الصلاة والسلام:
(لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذی

ما هو الشرك؟ و كم أنواعه؟

الشرك هو الاعتقاد بقلبه ان هناك احدا يستحق العبادة من دون الله تعالى او
هناك من يتشارك الله في الالهية او يساعده في اليجاد و التأثير .

و من الشرك أيضا الاعتقاد بقلبه ان هناك من يملك لنفسه او لغيره جلب المنافع او
دفع المضار أو هناك من يمكن له التصرف في الامور او التأثير في الكائنات من تلقاء نفسه .
و مهما اعتقد المرء شيئا من هذه المذكورات في واحد من المحلوقات، سواء
اعتقدها في نبي او في ولي او في شيخ او في حيوان أو في جماد كان مشركاً حقا بالاجماع .
لأن المحلوقات كلها على اختلاف أشكالها و تنوع اجناسها لا تستحق العبادة مطلقا وهي
لا تملك جلب المنافع ولا دفع المضار ولا قدرة لها على التأثير في حد ذاتها فاعتقاد ذلك على
أى مخلوق ، آدمى كان او غيره هو الترك الأكبر وهو الكفر الصريح .

هذا و ليس من المستحيل ولا من الغريب ان يقع بعض الناس غير المعصومين في
اودية الكفر والضلال بينما ينهمك البعض الثاني في المعاصي و المنكرات حين يتقيد
البعض الآخر بالشرعة الاسلامية و السنة الفراء .

ولا تستغرب هذه الاتجاهات المختلفة و الظواهر المتضادة بين أفراد المسلمين و
جماعاتهم لان الله تعالى قد خلق الناس و هم مختلفون في الدكاء و الغباوة و الضعف و
القوة و متفاوتون في الجهل و المعرفة و الاجتهاد و التقصير و تعا لهذا الاختلاف الطبيعي و
التفاوت الفطري فمنهم من يقترب من الاسلام الى حد مرضى عنه بحيث يأتمر الأوامر
و يجتنب النواهي ، و منهم من يبتعد عنه و ينحرف عن جادته المستقيمة حسب حال كل
فرد و طبيعته و الى تلك المراتب المتفاوتة اشار القرآن الكريم بقوله تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ

الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَاطْر: ٣٢) ولكن هذا الأبتعاد لا يخرج المسلم المقصر عن دائرة الاسلام مادام يدين بالولاء لهذا الدين الخفيف وينتسب اليه فاذا صدر من المسلم بعض الاقوال او التصرفات مما يدل ظاهرها على الكفر وهولم يرد بها تغيير اسلامه ولا ارتداد عن دينه فلا يحكم عليه بالكفر ولا بالردة ومهما تورط المسلم في المآثم واقترف من جرائم فهو مسلم، لا يجوز اتهامه بالردة او الكفر وقد روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَصَلَّى صَلَاتَنَا وَآكَلَ ذَبْحَتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ مَا لِلْمُسْلِمِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَى الْمُسْلِمِ) وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين من ان يقذف بعضهم بعضا بالكفر لعظم خطر هذه الجناية وقال فيما رواه مسلم عن ابن عمر: (إِذَا كَفَّرَ الرَّجُلُ أَخَاهُ فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا)

ولا يعتبر المسلم خارجا عن الاسلام ولا يحكم عليه بالردة الا اذا انشرح صدره بالكفر واطمان به قلبه ودخل فيه بالفعل لقوله تعالى: (وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِكُفْرٍ صَدْرًا ۖ النحل: ١٠٦) ويقول الرسول عليه السلام: (أَتَمَّا الْأَعْمَالُ بِالنَّبَايَةِ وَأَتَمَّا لِكُلِّ امْرِئٍ قَانُوِي)

ومذهب أهل السنة والجماعة التحاشي عن تكفير كل من انتسب للاسلام حتى انهم كانوا يكفون عن تكفير أئمة أهل البدع مع الامر بقتلهم وذلك دفعا لضررهم لا لكفرهم.

هذا ولما كان ما في القلب غيبا من الغيوب التي لا يعلمها الا الله تعالى وحده كان ولا بد من الكف عن تكفير المسلم حتى يصدر منه ما يدل على كفره دلالة قطعية لا تتحمل التأويل.

وقد نسب الى الامام مالك رضى الله عنه انه قال: من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة وتسعين وجها ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل امره الى الايمان.

فالشرك هو الكفر باللفظ والمعنى وبالجملة والتفصيل وهما ضد التوحيد المقرر من أصل الاديان السماوية عامة. ومن أصل هذا الدين الاسلامي خاصة. بشهادة الله في كتابه العزيز حيث يقول تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ آل عمران: ١٨)

فالشرك بالله هو الكافره الجاحد بوحديته المكذب بالأنبياء والرسول وبما جاؤا به

من عند الله من الدين والشرائع وهو اعظم أنواع الضلالة واشدها على الله وفيه من الوعيد ما ليس في غيره من جميع المعاصي. لقد صرح القرآن الكريم ونبه في عدة آيات عن خطورة الشرك وحذر من ارتكابه معلنا بأن الشرك لظلم عظيم. وقال جل من قائل: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ النَّسَاءُ : ٤٨) وقال: (إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۚ الْمَائِدَةُ : ٧٢) وقال مخاطبا لحبيبه المصطفى: (وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لَتَبْخَطُنَّ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ الزمر: ٦٥)

وهذه الآيات القرآنية وأمثالها الكثيرة في كتاب الله العزيز لا تترك مجالا للشك في أن الشرك لعظيم وعواقبه وخيم.

هذا وينقسم الشرك الى ستة أنواع. شرك الاستقلال وهو إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس. شرك التبعض وهو تركيب الاله من عدة آله كشرك النصارى. شرك التقريب وهو عبادة غير الله تعالى ليقربه الى الله زلفى كشرك مقدمى الجاهلية. شرك التقليد وهو عبادة غير الله تبعا للغير كشرك متأخرى الجاهلية. شرك الاسباب وهو اسناد التأثير للاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبيعيين ومن تبعهم على ذلك. شرك الاعراض وهو العمل لغير الله تعالى كالرياء لقوله عليه الصلاة والسلام: (الرَّيَاءُ هُوَ الشُّرْكُ الْأَصْفَرُ) «اخرجه احمد»

فحكم الاربعة الاولى الكفر بالاجماع. وحكم السادس المعصية من غير كفر بالاجماع. وحكم الخامس فيه التفصيل:

فمن اعتقد في الاسباب انها تؤثر بطبعها فهو كافر بالاجماع ومن اعتقد انها تؤثر بقوة اودعها الله فيها ، وانها اسباب عادية فقط. وقد تتحلف عن مسبباتها في بعض الاحيان، والمؤثر في الاشياء حقيقة هو الله تعالى وحده فهو مسلم بالاجماع.

وعلى هذا فان الشرك في الدين الاسلامى ضربان: أحدهما الشرك الجلى، وهو الاشراك في العبودية، وذلك اعظم كفر ونعوذ بالله منه. والثاني: الشرك الخفى وهو مراعاة غير الله معه في بعض الامور كأعمال المرائين وقد ورد في الحديث النبوى: (الشُّرْكُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ أَخْفَى مِنْ ذَبِيبِ السَّمَلِ عَلَى الصَّفَاءِ) ويعنى بذلك «الرياء» لقوله عليه

السلام في حديث آخر: (الزَّيَّاءُ هُوَ الشُّرْكُ الْأَضْفَرُ) رواه أحمد
فهذا لشرك المذكور الحاصل بالرياء لا يجرح المسلم عن دائرة الاسلام، وإنما
يحبط الاعمال فقط كما وقع عليه الاجماع. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ
عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيَّرَ اللَّهُ قَعْمَلَهُ مَرْذُودًا عَلَيْهِ)
واما الكفر فهو ايضا على اربعة اقسام: كفر الانكار، وذلك بان لا يعرف الله
اصلا ولا يعترف به وكفر الجحود، وكفر المعادة، وكفر النفاق، فمن لقي ربه بواحدة
من هذه لم يغفرله. ويغفر الله ما دون ذلك لمن يشاء.
فأما كفر الانكار، فهو ان يكفر بقلبه ولسانه ولا يعرف ما يذكره من التوحيد و
العبادات.
واما كفر الجحود فهو ان يعترف بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وجنوده من
شياطين الانس والجن.
واما كفر المعادة فهو ان يعرف الله بقلبه و يقر بلسانه ولا يدين به ككفر
ابى جهل واضرابه.
واما كفر النفاق فهو الاقرار باللسان وعدم الاعتماد في القلب كالمنافقين الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم في ذلك الى يوم القيامة.
وكفر - على وجه التحديد - اما يكون بنكار الصرريات من الدين
الاسلامي، كانكار وجود لاري ووحديته، وانكار رسالة محمد صلى الله عليه وسلم،
ورسالة واحد من الرسل عليهم الصلاة والسلام، او بنكار الفرائض كوجوب الصلاة او
بنكار واحدة من القواعد الاسلامية الخمسة التي سبى عليها الاسلام.

الوهابية وإنكارها للبدع مطلقا

يفتتنم الوهابيون كل فرصة ممكنة للهجوم على المسلمين و التوجيه اليهم انتقادات حادة و خارحة عن الموضوع و يحاربونهم بشتى الطرق و الوسائل .

فمن ذلك انفاؤهم على المسلمين شبهات للتليس عليهم دينهم وتشويش عقائدهم و يحاولون احباط اعمالهم و بطردهم عن حظيرة الاسلام و إبعادهم عن حدود السنة . و هاهم ايضا ينكرون على البدع كلها دون مراعاة ما يجوز انكاره منها و ما لايجوز انكاره و يحتجون بالحديث القائل : (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ) رواه ابو داود و قد ساقهم ظاهر هذا القول الى تكفير جماعة من المسلمين و ذم كثير من الابرياء و لو انهم فهموا معنى الحديث لعلموا أن الأمر ليس كما يظنون .

فالكل في اللغة العربية يأتي بمعنى البعض و البعض يأتي هو أيضا بمعنى الكل . فتأمل فقوله صلى الله عليه و سلم كل بدعة ضلالة من العام المحصوص .

و البدعة كما ذكرها العلماء و الفقهاء تنقسم الى خمسة اقسام : واجبة ، و مندوبة ، و مباحة ، و مكروهة ، و حرام . و كلها مفصلة في الكتب المطولات . فمن لم يقدر على تمييزها كلها فحقه السكوت و الا خيف عليه ان يحلل الحرام او يحرم الحلال و كلاهما ممنوع شرعا و في الحديث : (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) رواه مسلم و النسائي

و هذا الحديث اقوى دليل على ان البدعة اذا كانت حسنة فهي داخلة في عموم الشريعة المحمدية ، و انكارها هو البدعة المحرمة و الدليل عليه في القرآن الكريم قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آتَاؤُهُمْ • يس : ١٢)

و إذا تأملت الحديث المذكور علمت يقينا بأنه صلى الله عليه و سلم قد اجاز لنا استداع ما هو حسن و سماه سنة و جعل فيه الأجر للذي ابتدعه أولا ، و لمن عمل به ، الى يوم القيامة ثانيا و لا يسمى شئ بدعة حتى يخالف صريح الكتاب و السنة فمتى وافتهما فهو سنة حسنة يكون لمستدعه أجره و أجر من عمل به ، الى يوم القيامة .

قد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه في صلاة التراويح: «يَعْمَتِ الْبِدْعَةُ

هَذِهِ»

هذ ولا بد من التمييز بين البدعة المستحسنة و البدعة المستقبحة و الاعتراف

بواقعية كل منهما و إلا فلامحال للانكار..

و معلوم ان العلماء قد استرطوا لجواز النهى عن المنكر شرطين: الأول معرفة المنكر

و الثانى أن لا يؤدى نهيه الى ارتكاب ما هو أعظم منه

و كثر الوهابيين فيما يكرهونها اليوم، من البدع و المكروهات يرتكبون اعظم

منها لأنهم بأنكار هذه البدع يكفرون المسلمين الموحدين الذين هم فى واد و الكفر فى واد

— لاجرم — ان تكفير المسلم الموحداً أكبر و احظر من ارتكاب بعض البدع و المكروهات.

و أعجب شئ منهم هو انهم يتأثرون للبدع و المكروهات و ينكرون عليها بشدة،

أكثر مما ينكرون على المحرمات كالكذب و الغيبة و السحرة و نحوها من الكبائر. و قلما

يوجد منهم من يتأثر لهذه الكائثر الفاشية تأثيره للبدع و المكروهات و شأنهم هذا شأن من

يبنى قصراً و يهدم مصراً. و كان عليهم ان يقدموا الأهم فالأهم..

ولا يخفى ان القاعدة الاسلامية تقتضى ان لا يقول أحد قولاً ولا يفعل فعلاً حتى

يعلم حكم الله فيه، و إلا فهو على خطر يخشى منه تحريم الحلال او تحليل الحرام.. ولا

يعتنى بهذا اننا نجوز البدع كلها او نسعى الى تشجيع البديعين و المحالفين، بل بالعكس!

فنحن ضد البدع المحالفة للكتاب و السنة و صد الاوهام و الخرافات الباطلة ايا كان

مصدرها سعى الى قمعها و القضاء عليها بكل ما و تينا من حول و قوة. و لكننا فى نفس

الوقت نعترف بان هناك دعاء لا بأس بها اذا كانت هذه البدع تعين على أداء الواجبات

او المستنونات لان كل ما يتوصل به الى الواجب واجب. و ما يتوصل به الى السنة مندوب.

و نؤمن كذلك بان البدع - كما ذكرها لفتهاء - تنقسم الى خمسة اقسام واجبة،

و مندوبة، و مباحة، و مكروهة، و حرام. لكل واحدة منها حكمها و منزلتها.

و لذلك نرى و حوب التمييز بين لدعة الخسنة و البدعة القبيحة لنسمى الأولى

سنة كما فى الحديث: (مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَ آخَرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ)

و نسمى الأخرى بدعة كما فى حديث آخر: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَ كُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ)

ولا ينبغي ان نحكم على البدع كلها من خلال ظاهر الحديث القائل كل بدعة ضلالة. لعلنا بان هناك اشياء نستعملها اليوم في شئوننا الدينية والادارية تمثيلاً مع تطور العصر الحديث مع أن تلك الاشياء لم تكن موجودة ولا هي مستعملة في حياة الرسول ولا في زمن الصحابة وإنما ابتدعت من بعدهم رضوان الله تعالى عليهم.

وإذا صح القول بأن كل ما لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم فهو بدعة موجبة لدخول في النار. فكيف بنا ونحن نتوجه كل سنة الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج عن طريق الجو أو عن طريق البواخر والسيارات؟ مع العلم بأنه صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكة قط بواسطة هذه المحترعات الحديثة ونعلم ان مسجده صلى الله عليه وسلم لم يكن مجهزاً بمكبرات الصوت ولا المراوح الكهربائية كما هي الحال في مساجدنا اليوم ولم يبلغنا قط انه صلى الله عليه وسلم صام أو أفطر بإخبار الاذاعات أو البرقيات كما نصوم الآن ونفطر بها.

وإذا كانت عبادتنا هذه كلها باطلة لاعتمادها على أشياء محدثة لم يفعلها الرسول ولم يباشر بها في حياته، فمن ينجو منا؟ ومتى يمكننا تصديق قوله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَخْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ) حديث شريف أخرجه الترمذی

وقد قسّم ابن عبد السلام [١] الحوادث الى الاحكام الخمسة فقال: البدعة فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعناها واجبة كتعلم النحو وغريب الكتاب و السنة ونحوهما مما يتوقف فهم الشريعة عليه. ومنها محرمة كمذهب القدرية والجبرية والمجسمة. ومنها مندوبة كاحداث الروابط والمدارس والمستشفيات وبناء القناطر وكل إحسان لم يعهد في العصر الاول. ومنها مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف. ومنها مباحة كالصافحة عقب صلاة الصبح والعصر والتوسع في المأكل والمشرب والملبس وغير ذلك.

ومن البدع المستحسنة أيضاً الكتب والتصانيف فهي محدثة لم يكن شيء منها في زمن الصحابة وإنما حدثت بعد ستة مائة وعشرين من الهجرة بعد وفاة جميع الصحابة جملة التابعين رضي الله عنهم اجمعين.

(١) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام الشافعي المتوفى سنة ٦٦٠ هـ .

بيان في احكام الطرق والأوراد الصوفية

هذا ومن الجدير بالذكر ان من الوهابيين من ينكرون الطرق والاذكار الصوفية كالتجانية والقادرية والشاذلية ونحوها ويرفضونها رفضا بيا ويرونها من البدع القبيحة ويقولون بأنها لم تكن في زمن الرسول ولم يفعلها الصحابة ولا التابعون ويحسون الناس على تركها بكل مألدهم من حول وقوة. ويستدلون ببعض الآيات القرآنية كقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا * المائدة: ٣) وكقوله: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ * الانعام: ١٥٣):

ويزعمون بأن هذه الاوراد هي السبل المعنية في نص الآية. وجوابنا على هذه الأدلة بأنها بعيدة عن الحق بعد المشرق من المغرب فهذه الآيات وما شاكها لاعلاقة لها بنفي الورد أصلا وقد أخطأ فهمهم هنا خطأ فاحشا وناهيك عما فيه من تحريف القرآن الكريم وافتراء الكذب على الله تعالى. فتفسير هذه الآيات ومعانيها معروفة بتقرير الفقهاء والمفسرين ومن اراد الوقوف على حقيقتها فليطالع كتب التفسير.

اما الطرق الصوفية — كما يمكن ان نعرفها — إنما هي جمعيات دينية شكلت للتعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه بشروط وأنظمة معينة تتفق مع مبادئ الاسلام وأهدافه. واركابها ثلاثة وهي الاستغفار، والهيللة، والصلاة على النبي. والهدف من تشكيل هذه الجمعيات الدينية — في نظر السادة الصوفية — هو مجرد التقرب الى الله تعالى بالاذكار التي أمر الله عباده بذكرها بعد اداء فرائضهم قال الله عز وجل: (فَإِذَا قُضِيَتْ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ * النساء: ١٠٣) وامتثال أمره تعالى بقوله: (فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُوا * البقرة: ١٥٢) وقوله: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ * المائدة: ٢)

وقد رأوا أن التعاون على ذكر الله والصلاة على نبيه أفضل وأهم من جميع انواع

التعاون لقوله تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ * العنكبوت: ٤٥)
هذا ومن المعلوم بالضرورة ان هذه الاذكار التي ينكرونها مأخوذة كلها من
الكتاب والسنة وهي دائرة من الاستغفار، والهيلة والصلاة على النبي صلى الله عليه و
سلم.

واما الاستغفار فقد ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغة الأمر في عدة مواضع، منها
قوله تعالى: (فَسْتَغْفِرُكَ رَبُّكَ وَاسْتَغْفِرُكَ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا * النصر: ٣)، (وَأَيُّ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ
تُوبُوا إِلَيْهِ * هود: ٣١)

واما الأحاديث الواردة في الاستغفار فكثيرة لا يمكن حصرها فمنها قوله عليه الصلاة
والسلام: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً وَاسْتَغْفِرُوهُ فَإِنِّي أَتُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ)
رواه مسلم. وقال عليه السلام: (مَا مِنْ عَبْدٍ وَلَا أَمَةٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً إِلَّا غَفَرَ
اللَّهُ لَهُ سَبْعِينَ مَرَّةً وَقَدْ خَابَ عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ غَمِيلٌ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً ذَنْبٍ) رواه
البيهقي

اما الصلاة على النبي فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَقَلَّكَتَهُ
يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا * الاحزاب: ٥٦) وفي
الحديث: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ مِائَةً وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِائَةً كَتَبَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ بَرَاءَةً مِنَ النَّارِ وَأَسْكَنَهُ اللَّهُ نَعَالَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ مَعَ الشُّهَدَاءِ) رواه مسلم

اما الهيلة — لا إله الا الله — فقد قال تعالى: (مَا عَلَّمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ
لِذَنبِكَ * محمد: ١٩) وقال عليه السلام: (أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه ابن ماجه و
النسائي. وقال أيضا: (أَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالتَّيُّونُ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) رواه مالك بن
انس عن طلحة

فمن هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة استخرجت الأذكار
المذكورة واتخذها السادة الصوفية طرقا لهم بهدف التقرب الى الله والوصول اليه لا غير فمن
زعم ان لهم عرضا غير ذلك او هدفا دون هذا فقد اخطى وقد تبين انها مأخوذة كلها من
القرآن الكريم والأحاديث الشريفة فلا ينكر عليها الا الجاهل الأحمق أو السفه المطلق.

وقد بشر الله لداكرين بقوله تعالى: (وَالَّذَاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالَّذَاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) الاحزاب: ٣٥) وقال ايضا: (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) الجمعة ١٠) فلا يضرنا ادراك انكار المنكر بما هو موافق للكتاب والسنة.

هذا وقد ورد في كتاب «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى» لمؤلفه الحاج سعد بن عمر بعد ان اورد جملة من الآيات والاحاديث الدالة على وجوب الذكر والحث عليه قال سيادته: فمما تقدم من النصوص الصريحة نعلم ونتحقق بأن الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والشهادة ان لا اله الا الله اذكر حب عبيها الكتاب والسنة ورغبا في ذكرها ووعد الله عليهما ورسوله الثواب الجليل وغفران الذنوب والدخول في الجنان وان الرسول عليه السلام وصحابه الكرام داوموا على ذكرها مدى حياتهم.

فبناء على هذا نوضح بكل وضوح ان الورد التحاني الذي ليس إلا كواحد من هذه الأذكار اجلية لا يكون بوجه من الوجوه حراما أو بدعة قبيحة كما لا يصح القول بأن الشيخ احمد التجاني رضى الله عنه اخترعه من عند نفسه بل هي أذكار قرآنية محصاة لا غبار فيها.

فان قال قائل بأن الورد المذكور ليس من الدين لان الدين قد تم قبله لقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) المائدة: ٣) ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُم بِهِمَا كِتَابُ اللَّهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ) رواه مالك رحمه الله نقول وأي دين تم قبل لا اله الا الله وقبل الاستغفار وقبل الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعلوم ان هذه الألفاظ الثلاثة هي اركان الورد التجاني وعليها مداره فان كان القائل يعنى بتمام الدين الاسلامي نقول فان الله تعالى جعل لا اله الا الله مفتاحه والاستغفار مذهب ذنوب أهله والصلاة على النبي معرفة جميل نبيه وقد نطق بها الكتاب والسنة وعمل بها الرسول عليه السلام وأصحابه الكرام والصالحون من امته وسيعمل بها المسلمون الى يوم القيامة سواء كانوا تجانيين او غير تجانيين فلا ن حاجة لاحد ممن يتدين بالدين الاسلامي دونها).

هذا ولطرق الصوفية دور هام في تحقيق الدعوة الاسلامية وأثر بارز في التأليف بين قلوب المسلمين وجمع كلمتهم وحملهم على التمسك بالكتاب والسنة، وتعمير بيوت

أَذِنَ اللهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا اسْمَهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ بِالْفِدْوِ وَالْأَصَالِ.
وَتَعْتَرِ الطَّرِيقَةَ التَّجَانِيَّةَ بَيْتَ الْقَصِيدَةِ فِي نَظْمِ هَذِهِ الطَّرِيقِ الصُّوفِيَّةِ وَقَدْ أَخْطَأَ مِنْ
انْكَرَ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقِ الدِّينِيَّةِ وَزَعَمَ أَنَّهَا دَعَا مُخَالَفَةً لِلْكِتَابِ وَالسُّنَنِ أَوْ اتَّهَمَ زُعَمَاءَهَا وَ
اعْتَرَضَ عَلَيْهِمْ.

هَذَا وَلَا يَنْكَرُ أَحَدٌ أَنَّ الْإِسْلَامَ مَا انْتَشَرَ هُنَا فِي أَفْرِيقِيَا السُّودَانِ إِلَّا بِفَضْلِ جُهِودِ
شَيْوخِ الطَّرِيقِ مِنْ أَمْثَالِ الْحَاجِّ عَمْرِو الْفُوتِيِّ. وَ الشَّيْخِ أَحْمَدَ أَمِيرَ أَحْمَدَ اللهِ وَ الشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدِ
اللهِ سَعَادٍ. وَ الشَّيْخِ عُثْمَانَ فُودِي وَ الْعَلَامَةَ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بَابَه وَ السَّيِّدَ الْحَاجَّ مَالِكَ بِيَّةَ وَ
غَيْرَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ التَّجَانِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَشَرَطَ هَذَا الْوَرْدَ الْمَحَافِظَةَ عَلَى
الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْجَمَاعَاتِ وَالْأُمُورِ الشَّرْعِيَّةِ. وَإِيَّاكُمْ وَلبَاسَ حِلَّةِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ
فَإِنَّهُ عَيْنُ الْهَلَاكِ وَتَرْكُ الْمَقَاطِعَةِ مَعَ جَمِيعِ الْخَلْقِ وَآكَدَ ذَلِكَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْإِخْوَانِ فِي
الطَّرِيقَةِ.»

وَهَذَا دَلِيلٌ آخَرٌ عَلَى مَدَى اِهْتِمَامِ الطَّرِيقَةِ التَّجَانِيَّةِ بِالصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ عِمَادُ
الدِّينِ، وَأَنَّهَا تَحْتَ عَلَى مُوَاصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَعَدَمِ الْأَمْنِ مِنْ مَكْرِ اللهِ وَمَعَ ذَلِكَ فَأَوْرَادُهَا لَمْ
تُزَاحَمِ الْفَرَائِضُ وَلَا السُّنَنُ فِي أَوْقَاتِهَا بَلْ هِيَ مُؤَقَّتَةٌ فِي أَوْقَاتٍ نَدَبَ فِيهَا الذِّكْرَ خَاصَّةً وَ
هِيَ مِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الصُّبْحِ إِلَى طُلُوعِ الشَّمْسِ وَبَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى الْغُرُوبِ.

وَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ الطَّرِيقَةِ مِنْ فَضَائِلِ الذِّكْرِ، وَإِنْ مِنْ أَخْذِ الْوَرْدِ التَّجَانِيِّ وَ
دَاوَمِ عَلَيْهِ إِلَى الْمَمَاتِ أَنَّهُ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عِقَابٍ هُوَ وَالِدُهُ وَأَزْوَاجُهُ وَذُرِّيَّتُهُ
إِنْ سَلِمَ الْجَمِيعُ مِنَ الْإِنْتِقَادِ. فَهَذِهِ الْوَعُودُ كُلُّهَا دَاخِلَةٌ تَحْتَ وَعْدِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَهِيَ
صَادِقَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى.

وَوَجْهٌ ذَلِكَ قَدْ سَبَقَ إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ الْوَرْدَ التَّجَانِيَّ مَا هُوَ إِلَّا الْإِسْتِغْفَارُ وَالْمِيلَةُ وَ
الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَالآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ تَصْرَحُ فِي
أَكْثَرِ مَنْ مَوْضِعِ فَضْلِ الذِّكْرِ بِهَذِهِ الصَّيْغِ وَمَا وَعَدَهُ اللهُ لِلذَّاكِرِينَ بِهَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: (وَالَّذِينَ
يُذَكِّرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝ أَحْزَابُ ٣٥) وَقَالَ: (وَأَذْكُرُوا
اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ الْجُمُعَةُ: ١٠) وَفِي الْحَدِيثِ: (مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ

الله تَعَزَّ وَجَلَّ لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَى مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قُومُوا تَقْفُوا لَكُمْ قَدْ
بُدِّلَتْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ) رواه احمد. فهذه وعود صريحة بالمغفرة ودخول في الجنة وعدها
الله للذاكرين وهو تعالى صادق الوعد ولا يخلف الميعاد.

و أما ما يخص والديهم وأرواحهم وذرياتهم فقد قال تعالى: (جَنَّتْ عَذْيٌ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَرْوَاحِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ * رعد: ٢٣) وفي الحديث عن ابن
عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ تَعَزَّ وَجَلَّ لَيَرْفَعُ
ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ مَعَهُ فِي ذَرْجَتِهِ فِي الْحَبَّةِ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَتَلْعَفْهَا يَغْمِلْهُ لِيَقْرَأَ بِهِمْ عَيْنُهُ) ثم قرأ: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ).

فمن تأمل هذه الآيات والاحاديث النبوية تحقق بأن وعد الشيخ رضى الله عنه
للذين حافظوا على الأوراد بشروطها تابع لوعد الله تعالى في القرآن وعلى لسان رسوله صلى
الله عليه وسلم وغير خارج عن حدود الشريعة المطهرة فلا لوم على الذين تعلقوا بهذه
الوعود الصادقة متكسب على الله تعالى القاتل في كتابه، العزيز: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا
عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * الزمر
٥٣:)

و أما ما يقوله أو يفعله بعض الجهال المنتسبين الى الطريقة التجانية مما يخالف
الشريعة الاسلامية فان الشيخ رضى الله عنه ليس مسؤولاً عنهم وطريقته بريئة منهم كما
ان الرسول عليه الصلاة والسلام ليس مسؤول عن اعمال جهلة المسلمين من امته والدين
الاسلامى هو أيضا برئ مما يفعله بعض المسلمين المنحرفين . وليس لأحد حجة على الشيخ
بعد قوله رضى الله عنه: «وإذا أمرتكم بأمر رنوه عميراء الشرع فان وافق فاعملوا به وان
خالف فاتركوه».

فعبارت الشيخ هذه تطابق تماماً مع ما قاله سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه
حينما يوبع بالخلافة وقال بعد ان حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس أطيعوني ما اطعت
الله وان عصيته فلا طاعة لي عليكم يغفر الله لنا ولكم». هـ.

الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب

ينتهج الوهابيون المتطرفون في هذه المسألة نهجاً خارقاً للاجماع ومعارضاً لأقوال العلماء وآراء الفقهاء. وذلك انهم ينكرون أئمة المذاهب وكتبهم الفقهية وينفون التقليد بهم والتقليد بمذاهبهم زاعمين ان لهم الحق في استنباط الاحكام والمسائل من القرآن والحديث مباشرة دون التقليد بمذهب من المذاهب أو التقليد بامام من أئمة الدين. وهذا - في الواقع - تلبيس عظيم غروا به العوام من الجهال وصغار الطلبة حتى اوقعوهم من حيث لا يخرجون. وقد يكون دافعهم الوحيد الى هذا التلبيس هو محاولة تعطيل هذه المذاهب الاربعة والقضاء عليها ليفسحوا المجال امامهم كى يتسنى لهم تحقيق اغراضهم الشخصية المتمثلة في حب الظهور وعدم اعتراف الغير. كما يحاولون من خلال توجيهاتهم السخيفة الى تضليل العوام عن دور هذه المذاهب وتصريفهم عن تعلم الفقه والاهتمام به كوسيلة لمعرفة شرائع الاسلام واحكام العبادات بينما لا يمكن تعطيل هذه المذاهب ولا الاستغناء عنها لانها قد وضعت خصيصاً لتفصيل وتبيين ماجاء في القرآن الكريم والحديث النبوى مجملاً من احكام العبادات والمعاملات. بل ولا يصح الاسلام بالنسبة لنا - نحن الخلق - الا بتقليد أئمة المذاهب رضوان الله عليهم. وليس بالاجتهاد الفوضوى كما يزعمه بعض الجهلة ولا يخفى ان العلماء متفقون على ان الخارج عن المذاهب الاربعة ضال مضل وربما اداه ذلك الى الكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من اصول الكفر ولان كثيراً من القرآن والأحاديث مآظاهرة صريح الكفر، (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ... * آل عمران ٧) ولا ينبغي إتهام الأئمة الأربعة في ترك السنة وهم أرباب العلم والورع والكشف والانصاف وأحرص الناس على اتباع سنة رسول الله وقد بنى الامام مالك رضى الله عنه مذهبه على اربعة اشياء: آية قرآنية، وحديث صحيح، واجماع أهل المدينة، واتفاق جمهورهم.

وقد اجمع أهل السنة على وجوب التقليد على من ليس فيه أهلية الاجتهاد وقد

شاع ذلك حتى صار معلوما من الدين بالضرورة.

و معلوم عند كل احد ان رتبة الاجتهاد قد انقطعت منذ أزمان وأنه ليس في أبناء هذا الزمان أحد من الذين بلغوا درجة الاجتهاد، و من توهم ذلك فقد غره هواه، و لعب به الشيطان.

لذلك كان من حقنا — نحن الخلق — ان نقلد هؤلاء الأئمة بدلا من الاجتهاد الذى لم يصل اليه افهامنا فالاجتهاد له شروط و بدونها يكون تلاعب بالدين و سحرية بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم اعادنا الله من ذلك و قد قال ابن القيم [١] في كتاب «اعلام الموقعين» لا يجوز لأحد ان يأخذ من الكتاب و السنة ما لم تجتمع فيه شروط الاجتهاد من جميع العلوم. فمن هذه الشروط ان يكون فقيها عالما بكتاب الله حافظا له عارفا باختلاف قراءته، و اختلاف قرائه بصيرا بتفسيره خبيرا بمحكمه و متشابهه و ناسحه و منسوخه و قصصه. و منها ان يكون عالما بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مميزاً بين صحيح أحاديثه و سقيمها. و منها ان يكون ورعا، ديناً، صائناً لنفسه، صدوقاً؛ ثقة يبنى مذهبه على كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فاتته واحدة من هذه الخصال كان ناقصاً فلا يجوز له ان يكون مجتهداً يقلد به الناس.

و سأل رجل احمد بن حنبل [٢] إذا حفظ الرجل مائة الف حديث هل يكون فقيها قال لا قال فمائتى الف حديث قال لا قال فثلاثمائة الف حديث قال لا قال فأربعمائة الف حديث قال نعم و يقال ان احمد بن حنبل اجاب عن ستمائة الف حديث.

هذا ولا يجوز لأحد منا ان العلماء في كل زمان و مكان كالنوى و السيوطى و أحمد بن تيمية و ابن القيم و الفخر الرازى و طنطاوى و الغزالى و ابن القاسم و خليل بن اسحاق و غيرهم كانوا جميعاً على تقليد بالأئمة مع ان كل واحد منهم له اليد الطولى في كل فن من الفنون و لكن لما علموا انهم لم يصلوا الى رتبة الاجتهاد وقفوا عند حدهم و كانوا من جملة المتقليدين. «و رحم الله امرءاً عرف قدره و لم يتعد طوره.»

(١) ابو عبد الله محمد بن ابوبكر تلميذ ابن تيمية المتوفى ٧٥١ هـ

(٢) احمد بن محمد بن ابوعبد الله المتوفى ٢٤١ هـ

هذا ومن الغريب جداً ان يكون باب الاجتهاد مفتوحاً امام الجميع يتسارع اليه الفقيه والسفيه ويتزاحم لديه العالم المتبحر والجاهل المتكبر. يتقيد هذا بعلمه ويتخبط ذاك بجهله كلا! إنها محض دعوى أريد بها تضليل العوام وتلبيس الحقائق بالاحلام ليس غير.

فالاجتهاد في نظر المحققين رتبة في غاية السمو والارتفاع ومن المستحيل ان تحاول الوصول اليه عصبة من المتحلفين الذين كان الجدال - ولا يزال - هو مبغهم من العلم ومنتهى حظهم في الفهم وقد سولت لهم أنفسهم ان يجوزوا لأنفسهم ولغيرهم الاستنباط من القرآن والاخذ بظاهر الآيات والاحاديث علماً منهم بأن ذلك أقرب وسيلة وأنجح حيلة لصيد عقول الجاهل ونيل الشهرة والرياسة لدى الاميين الذين لا يميزون بين السقيم والمستقيم لانهم يقولون: نحن نقول قال الله أو قال رسول الله وغيرنا يقول قال مالك وقال شيخ فلان.

ومن هنا انكروا التقليد بأئمة المذاهب وبالغوا في نقدهم والاعتراض عليهم و تراهم يتساءلون فيما بينهم كيف نترك الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ونقلد بالأئمة في اجتهادهم المحتمل للخطأ؟ وكيف نترك قول الله ورسوله ونأخذ بقول مالك او بقول شافعي او بقول فلان وفلان؟ وقد اجابهم بعض المحققين في تلك التساؤلات بقوله [١] ان تقليد الأئمة في اجتهادهم ليس تركاً للآيات والاحاديث كما يزعمون بل هو عين التمسك والاخذ بهما فان القرآن الكريم ما وصل اليه الآن بواسطتهم مع كونهم اعلم منا بناسحه ومنسوجه ومطلقه ومقيده ومجمله ومبينه ومتشابهه ومحكمه واسباب نزوله ومعانيه وتأويلاته ولغاته وسائر علومه وتلقيهم ذلك عن التابعين المتلقين عن الصحابة الذين تلقوا مباشرة عن الشارع الأمين صلوات الله وسلامه عليه المعصوم من الخطأ والنفوات.

وكذلك الاحاديث ما وصلت اليه الآن بواسطتهم مع كونهم أعلم ممن بعدهم بصحيحها وحسنها وضعيفها ومرفوعها ومرسلها ومتواترها وآحادها ومعضلها وغريبها وتأويلها وتاريخ المتقدم والمتأخر والناسخ والمنسوخ وأسبابها ولغاتها وسائر علومها مع

(١) وهو العلامة الشيخ محمد احمد عيش في كتابه فتح العل المالک صفحة ١٠٠

تمام ضبطهم وتحريرهم لها وكمال إدراكهم وقوة ديانتهم واعتنائهم وتفرعهم ونور بصائرهم».

و خلاصة القول فإن مدعى الاجتهاد من ابناء هذا العصر، المنكرين لتقليد ائمة المذاهب قد لا يريدون من وراء هذه الدعوى إلا حب الظهور وقصد الشهرة بمقتضى قاعدة: «خَالِيفْتُ تُعْرِفُ». او يريدون بها تفريقا وحدة المسلمين وإثارة الشكوك والخلافات بين صفوفهم سعيا وراء مصالحهم الشخصية. وإلا فهُمْ أعلم بأنفسهم قبل غيرهم بأنهم ليسوا من ذوى المكانة المعتبرة فى العلوم، ولا أهلية لهم بالفتوى فضلا عن الاجتهاد الذى يقف دونه أكابر العلماء.

مسألة القبض والسدل

أما القبض فهو الشعار الرسمى لوهابىي بلادنا وقانونهم المطبق بل هو الركن المؤكد و شرطهم الاساسى لصحة الصلاة. وقد يبطلون صلاة من ترك القبض وأسدل يديه ولا يأتون به ويحكمون عليه بالكفر والفسوق تارة، وبالشرك والتفارق تارة اخرى.

فهذا الحكم الفاسد اما لجهلهم بفقہ الصلاة وإما لانكارهم على الامام مالك رضى الله عنه الذى كره القبض فى الفرائض ولا حجة لبعضهم فى تأكيد هذا القبض واختياره على السدل سوى انهم ذهبوا الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وجدوا أهل مكة يقبضون أيديهم فى الصلاة.

ونحن نجيب لأولئك البعض بان الحج إما هو مؤتمر اسلامى كبير يشترك فيه آلاف من المسلمين القادمين من بلاد مختلفة ومن اماكن شتى فبعضهم على مذهب الحنفى والبعض الآخر على مذهب الحنبلى وقد يكون بعض هذه المذاهب يفضل القبض ويأمر به خلافاً لمذهب الامام مالك رضى الله عنه.

ولا ينبغى لما لى ان يترك مذهبه ويقلد غيره على هذه الصورة خصوصا إذا كان قبضه يؤدى الى سوء التفاهم واختلاف الآراء فيما بينه وبين قومه فصول الوحدة الاسلامية والسعى لتقارب وجهات النظر بين المسلمين فى سنوبه الدينية والدينية

أولاً، وأجدر من التمسك والتشديد في مسائل وقد رخص فيها ومع ذلك فلسنا نحن مأمورين باتباع أهل مكة في سائر الأقوال والأفعال وإنما أمرنا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب: ٢١) ولم يقل كان لكم في أهل مكة آية أسوة فأهل مكة كغيرهم من سائر المسلمين مأمورون هم أيضاً باقتداء النبي صلى الله عليه وسلم. لأن يقتدى بهم وحدهم.

فمسألة القبض والسدل اذن ليست بمسألة مكين أو مدنين حتى نحتاج الى التقيد بما هنالك. ولكنها مسألة مرثية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كباقي المسائل الفقهية.

وقد ثبتت في الآثار الصحيحة مشروعية كل من القبض والسدل وانهما من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم ولا يتصور ان يكون الامام مالك رضى الله عنه قد اختار السدل من تلقاء نفسه، او أمر به بمجرد هواه وحاشاه ان يفعل او يأمر به دون ان تكون له اسانيد صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك، ولا يليق بنا ان ننكر عليه او نعارضه في أية مسألة من المسائل الفقهية لا في السدل ولا في غيره لانه اعلم منا بصلاة رسول الله وأفقهنا بحكم القبض والسدل وهورضى الله عنه امام فقهاء عصره وقوتهم على الاطلاق ومذهبه عمري على المشهور. وحسبه فحراً كونه إماماً لدار الهجرة وعالم المدينة المنورة على التحقيق وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في حقه: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَظْهَرَ عَالِمُ الْمَدِينَةِ) وقال أيضاً: (يَخْرُجُ النَّاسُ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ فِي ظَلَبِ الْعِلْمِ فَلَا يَحْدُوا أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ).

وسئل ابو حنيفة عن مالك فقال: «ما رأيت اعلم منه بسنة رسول الله منه» و ماقتب الامام مالك رضى الله عنه اظهر من شمس الضحى واكثر من أن تعد او تحصى.

هذا ومن الواضح جداً ان منكرى السدل الطاعنين به غير مقيدون بقوانين الفقه والحديث. وليسوا بمتفقهين بالمعنى الصحيح لقد ثبت السدل عن كثير من الصحابة كأبي بكر الصديق وعلى ابن ابي طالب وأنس هريرة وسعد بن سهل ومعاذ بن جبل وعبد الله ابن الزبير وأبي حميد الساعدي وغيرهم رضى الله عنهم أجمعين. فالطعن على المسدلين طعن لجميع هؤلاء الصحابة والعياذ بالله من ذلك. ومعلوم ان اصحاب رسول الله كالنجوم بأيهم اقتدينا اهتدينا.

و انا لنعتقد ان الطاعنين على السدل معذورون من حيث قلة الفهم وضعف الادراك فهم — على ما يبدو — كأدوات مسحرة لافكار بعض المتطرفين الذين يزعمون ان السدل بدعة قبيحة وان الشارع صلى الله عليه وسلم لم يفعله قط ولم يأمر به وذلك ما صرح به الاخ محمد المرزوق ابن عبد المؤمن الفلاتى فى كتابه: «القبض والارسال فى الصلاة» وقد ذكر هذا الرجل فى كتيبه المذكور أن مسدلى الأيدى فى الصلاة بدعيون مدعونون ومستحقون الخلود فى النار وقال ايضا ان صلواتهم باطلة وعدتهم عاطلة وجميع اعمالهم مردودة من أجل هذا السدل لقول النبى صلى الله عليه وسلم: (مَنْ أَخَذَتْ فِي أَفْرِنَا هَذَا قَالَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ) من حديث عائشة ولم يترك هذا المؤلف المفتون رطباً ولا يابساً من الكلمات القبيحة والعبارات الشنيعة الآ واطلقها على الائمة الكرام والعلماء الأعلام الآخذين السدل من صفة صلاة الرسول عليه السلام. ومن جريان العمل به من طرف بعض الصحابة والتابعين وباتفاق جمهور العلماء على مر القرون والعصور.

هذا ومن المؤسف جدا ان هذا الكتيب رغم ما فيه من الفحشاء والمنكر والكلام القبيح قد نال قبولاً حاراً واهتماماً بالغاً لدى بعض الوهابيين الذين زادوا به حقدا على المسلمين وتفريقاً بين صفوف المصلين فصار القابض منهم يمتنع ان يصلى خلف السادل عملاً بما ورد فى هذا الكتيب. وتعطلت من اجل ذلك المساجد والزوايا وشرعوا بحكم لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطانا. ويتابع الفلاتى فى صفحات كتيبه قائلا: «فانا لم نجد للسدل حديثاً صحيحاً ولا حسناً ولا ضعيفاً حتى نعتمد عليه»

نعم قد لا يمجّد الفلاتى الحديث عن السدل — كما ذكر — لانه لم يكن متعمقاً فى علم الحديث مثلما تعمق فى علم السب واللعن والشتائم والاستاذ الفلاتى — كما يبدو لنا فى اسلوب لعناته وعباراته فى الطعن والتشنيع — يبدو وكأنه تخرج من «كُلِّيَّةُ الْبَدَآءَةِ» وقد حاز فيها على شهادته العليا «فى الْوَقَاحَةِ وَالْجَرَآءَةِ» لذلك لا يمكن له أن يكتب او يتكلم الا بما يناسب ثقافته المشؤمة.

اما كون السدل من فعل المعصوم صلى الله عليه وسلم فيشهد عليه حديث مسيء الصلاة الذى أخرجه البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه. وخلاصته «أن رجلاً دخل المسجد وصلى بحضور الرسول عليه السلام ثم جاء

فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ فَقَالَ (وَعَلَيْكَ السَّلَامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تَصَلِّ) فَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ عَلَّمَنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ (إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَأَسْغِ الْوُضُوءَ ثُمَّ اسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ وَكثِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرُ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَسْتَوِيَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمِئِنَّ حَالِسًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا) وَرَادَ فِي رَوَايَةِ أُخْرَى (فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ نَمَتَ صَلَاتَكَ وَإِنْ انْتَقَصَتْ مِنْهَا فَإِنَّمَا أَنْتَقَصْتَ مِنْ صَلَاتِكَ).

هَذِهِ كَيْفِيَّةُ لِلصَّلَاةِ بِتَمَامِهَا ذَكَرَهَا الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَذْكُرْ فِيهَا الْقَبْضَ وَصَحَّ الِاسْتِدْلَالُ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ كُلَّمَا ذَكَرْ فِيهِ وَاجِبٌ لَا تَصِحُّ الصَّلَاةُ بِدُونِهِ وَمَا لَمْ يَذْكُرْ فِيهِ فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمُئِذٍ بِمَقَامِ تَعْلِيمِ الْوَاجِبَاتِ فِي الصَّلَاةِ وَلَا يَجُوزُ فِي حَقِّهِ أَنْ يَنْسِيَ شَيْئًا مِنْهَا أَوْ يَقْتَصِرَ بِذِكْرِ بَعْضِهَا دُونَ الْبَعْضِ.

وَكَذَلِكَ حَدِيثُ أَبِي حَمِيدٍ الْآنصَارِيِّ الَّذِي أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَابُودَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ وَذَلِكَ أَنَّ أَبَا حَمِيدٍ كَانَ فِي عَشْرَةٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ أَنَا أَعْلَمُ بِصَّلَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: نَعَمْ فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ بِأَكْثَرْنَا لَهُ تَبِعَةً وَلَا أَقْدَمْنَا صَحْبَةً قَالَ بَلَى قَالُوا: فَأَعْرَضْ، أُنِّي صِفْتُ لَنَا صَلَاةَ النَّبِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَمَازِي بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ يَكْبِرُ حَتَّى يَقْرَأَ كُلَّ عَظْمٍ فِي مَوْضِعِهِ مَعْتَدِلًا ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ. وَتَابِعَ أَبُو حَمِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي وَصْفِ صَلَاتِهِ مَرْتَبًا حَتَّى أَتَى إِلَى التَّسْلِيمِ قَالُوا كُلُّهُمْ صَدَقْتَ هَكَذَا كَانَ يَصَلِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ فِيهَا الْقَبْضَ وَقَدْ ذَكَرَ جَمِيعَ الْفَرَائِضِ وَالسَّنَنِ وَالْمُسْتَحَبَاتِ بِالْإِسْتِقْصَاءِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ أَيْضًا حُجَّةٌ وَاضِحَةٌ فِي السُّدُلِ وَحَيْثُ لَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي عَدَمِ ذِكْرِ الْقَبْضِ وَلَمْ يَنَاقِشُوهُ فِيهِ — رَغْمَ أَنَّ الْمَقَامَ كَانَ مَقَامَ احْتِجَاجٍ وَامْتِحَانٍ — عَلِمْنَا أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ الْقَبْضَ لَيْسَ لِازِمًا فِي صِفَةِ صَلَاتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا قَوْلُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَوْطَأِ، «كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ يَدَهُ الِیْمَنَى عَلَى ذِرَاعِهِ الْیَسْرَى فِي الصَّلَاةِ.» فَانْ هَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَسُدُّونَ وَالْأَنَّ كَانَ أَمْرًا بِتَحْصِيلِ الْحَاصِلِ وَهُوَ عِبْتُ مَحَالٍ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

و حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى قال فيه: «رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعت شمالى على يمينى فأخذ يمينى فوضعها على شمالى» يدل هو أيضا على ان ابن مسعود رضى الله عنه كان حديث عهد بالقبض لانه لا يجوز ان يجهل صحابى جليل مثل ابن مسعود فعلا من افعال الصلاة الذى يكرره كل يوم سبعة عشر مرة على الاقل.

وهذان الحديثان يدلان على ان السدل هو اول فعلية و الذى يدل على انه اخر فعلية صلى الله عليه وسلم هو استمرار عمل الصحابة عليه اذ لا يجوز جهلهم بآخر حال الرسول صلى الله عليه وسلم.

و امامنا مالك رضى الله عنه كان من تابعى التابعين وقد أخذ عن علمائهم الذين شاهدوا عمل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم و لهذا اعتمد على ما شاهدته منهم من السدل فقال رضى الله عنه انه لا يرى القبض فى الفرض كما رواه عنه تلميذه ابن القاسم [١] فى المدونة و أخذ به أصحابه.

هذا و من اراد مزيدا من الايضاح فى هذا الموضوع فليطالع كتاب «موقف الفصل فى ادلة القبض و السدل» للعلامة الحاج سعد بن عمر تورى [٢] او يطالع كتاب «ما قل ودل فى ادلة القبض و السدل» للاستاذ الشيخ احمد التجانى الفوتى [٣] فقد عالج مؤلفا هذين الكتابين — جزاهما الله خيرا — مسائل القبض و السدل و بحثا عن احكامها بحثا دقيقا و بينا مشروعية كل منهما و مأخذها من صلاة الرسول و من عمل الصحابة و التابعين رضوان الله تعالى عليهم اجمعين.

وهذان الكتابان فى غاية الأهمية لمن يريد التفقه فى احكام القبض و السدل. و من ذلك اتفاق الائمة على استحباب وضع اليمنى على الشمال فى القيام و ما قام مقامه مع قول مالك فى أشهر روايته انه يرسل يديه ارسالا و مع قول الاوزاعى انه يتخير فالاول مشدد و الثانى و ما بعده مخفف و ان تفاوت التحفيف اختلفوا فى محل وضع اليدين

(١) عبد الرحمن بن قاسم العتكى المالكى المتوفى ١٩١ هـ.

(٢) السيد سعد عمر تورى مدير «مدرسة سبيل الفلاح» سيقوج «مالى»

(٣) الاستاذ حمد التجانى به الحظيبت الاسلامى فى اداعة و التلمذة اندحاس

فقال أبو حنيفة تحت السرة وقال مالك و الشافعي تحت صدره فوق سرته وعن احمد روايتان اشهرهما كمذهب أبي حنيفة واختارها الخرقى [١]

هذا ومن الجدير بالذكر ان هؤلاء الوهابيين قد اتخذوا القبض شعارا لهم ليميزوا به عن غيرهم او ليقذروا عددهم وعُددهم والقبض أشرف من ان يكون وسيلة للتفريق بين جمهور المصلين أو لتمييز بعضهم بعضا.

ولا ينبغي ان يكون القبض والسدل مصدرى الخلاف بين جماعة المسلمين اللهم الا اذا استولى عليهم التعصب او الجهل باحكام الفقه لانهما ليسا من الشروط التي تتوقف عليها صحة الصلاة وليسا من الفرائض ولا من السنن المؤكدة ولكنهما من الفضائل الخفيفة بالنسبة لافعال الصلاة ولكن اخواننا الوهابيين لما تركوا تعلم الفقه جهلوا احكام الصلاة وجعلوا الفضائل محل الفرائض وفي الحديث: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ) متفق عليه

وأخيرا نختم هذا الموضوع بمقال للاستاذ الحاج سعد بن عمر نقلناه من كتابه «موقف الفصل» ونصه ما يلي: «فالقول اذا يا اخواني ببطلان صلوات السادلين او القابضين ليس له نصيب من الصحة ولا مستند له في الشريعة ولا قال به من يعتد بكلامه من الاجلة ونسبة فاعل أحدهما او تاركه الى البدعة او النفاق او الكفر الموجب للحلود في النار ودعاؤه بالفحش والبذاء والطعن في الايمان والوقوع في الاعراض حرام في الشريعة المطهرة ولا نتيجة له سوى التدابر والتضاغن والنزاع والتفرقة وقطع الارحام وهجران المساجد وسدها واغلاق المدارس المؤدى الى اضعاف المسلمين وفشلهم وتسلط الاعداء عليهم كما وقع — فعلا — في بلادنا بفعل هذه الشرذمة التي ما زالت تسمى باسم الدين وراء منفعتها الخاصة دون المنفعة العامة.»

التداوى بالقرآن أو بأسماء الله تعالى

و جدير بنا ان نأتى بهذا الموضوع لانه من اشهر المواضع التى تثير الخلافات بيننا و بين الوهابيين فهم يرون ان من كتب شيئا من القرآن او من أسماء الله تعالى وعلق عليه سواء للتداوى به او لتحرر فقد كفر بالله و يرون ان فعله هذا نوع من السحر او هو السحر ذاته. عفا الله عنهم حيث اوقعهم سوء فهمهم على مخالفة القرآن و الحديث فى هذا الموضوع قال الله تعالى: (وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ لِّلْأَسْرَاءِ) (٨٢) وقال ايضا: (قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ فُصِّلَتْ: ٤٤) و آيات الشفاء معروفة و مشهورة لورودها فى القرآن الكريم فى ستة مواضع فالقرآن قليله و كثيره شفاء من الأمراض الحسية و المعنوية و شفاء من الامراض الظاهرة و الباطنة بدليل ماورد فى الحديث: (الْفَائِزَةُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ) رواه البيهقى. وقال عليه السلام: (خُذْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا شِئْتَ لِمَا شِئْتَ). وقال ايضا: (مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ لَأَشْفَاهُ اللَّهُ). وقالت عائشة رضى الله عنها: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَكَى رَقَاهُ جِبْرِيلُ» فقال: (بِسْمِ اللَّهِ يُرِيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ مِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) و روى عنها ايضا: «كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا اسْتَكَى يَقْرَأُ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمَعُودَاتِ وَيَفْتُ فِي يَدِهِ وَيَمْسَحُ بِهَا مَا بَلَغَ مِنْ حَسَدِهِ»

و هذا دليل على ان التداوى بالقرآن او بأسماء الله تعالى جائز و أخذ العوض عنه جائز كذلك لما روى عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال: «انطلق نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من العرب فاستضافوهم فلم يضيفوهم فندغ سيد ذلك الحى فسعوا له بكل شىء فلم ينفعه فاتوا به الى الرهط فقالوا لهم ان سيدنا قد لدغ وقد سعيناله بكل شىء فلم ينفعه فهل عند احد منكم شىء فقال بعضهم نعم و الله ابى لا رقى ولكن قد استصفناكم فلم نضيفونا فما انا براق حتى تجعلوا لى جعلاً» (أى آخرأ) فصالحوهم على قطع من الغنم فأخذ الصحابى يقرأ الفاتحة و يتفضل عليه فقام الرجل يمشى وما به علة فاوفوهم جعلهم ولما رجعوا الى المدينة

اخبروا النبي بذلك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَحَقَّ مَا اتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ) رواه البخارى. هذا ولنا اسوة حسنة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هم نجوم الهدى ويصح الاقتداء بهم في كل شئ والذين سبقونا الى هذا العمل الطيب و أخذوا منه الأجرة فأجازهم الرسول أكل هذه الأجرة وهو صلى الله عليه وسلم اعلم بما يجوز أكله وما لا يجوز.

و اما قولهم بأن الرقية هي الجائزة، لكونها هي الواردة في الاحاديث والآثار الصحيحة، دون الكتابة للشرب والتعليق. وأن الكتابة حرام مطلقا، فهذا القول مردود لأننا لم نجد في احكام الشريعة الاسلامية حكما يجوز التلفظ به ويحرم كتابته. فكل ما يجوز لفظه يجوز قطعاً كتابته، وما لا فلا!

ومن المعلوم ان الكلمات التى يلفظ بها الراقى هي نفس الكلمات التى يكتبها الكاتب على السواء ولا يحتل تجويز أحدهما مع تحريم الآخر فالتلفظ والكتابة أمران متحدان حكما ومعنى يقوم كل منهما مقام الآخر.

وفي «الرسالة» لاسن أبى زيد القيروانى: «ولا بأس بالمعاذة تعلق وفيها القرآن» ويكون مستورا بظاهر يقيه الأذى ولا بأس ايضا بالرقية من غير القرآن حيث كان عربيا مفهوما المعنى كالمشتمل على ذكر الله ورسوله وأما مالا يفهم معناه كالكلمات العجمية والطلاسم المبهمة فلا تجوز الرقية بها لان الامام مالك رضى عنه سئل عن الأسماء العجمية قال: «وما يدريك أنها كفر؟» وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إِذَا قَرَعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عَمَلِهِ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَخْضُرُونَ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ) وكان عبد الله بن عمر يعسمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل كتبها في صث ثم علفها في عنقه. «رواه ابو داود والنسائي والترمذى» ويقول عليه السلام: (لَا بَأْسَ بِالرَّقَى مَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ). و يقول ايضا في حديث آخر: (لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ شِفَاءَ أُمِّيَ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْهِ).

ويستفاد من هذين الحديثين على ان التداوى بأسماء الله تعالى وآياته يجوز مطلقا لأنه لو لم يكن حائزا - كما يفهم من سياق هذا الحديث لما شفى بها احد من الأمة، وقد اثبتت التجارب أن ألقا أو ملاين من المرضى قد شفاهم الله بمحض ارادته ثم بركة هذه

الآيات المكتوبة. وشأن هذه الآيات المستشفية بها، شأن غيرها من الادوية الاخرى وكنها لا تأثير لها في دفع الشر ولا في جلب الخير إلا ما كان من توفيق الله تعالى. وهذا وليس من المعقول أن تكون العقاقير التي نروح ونغدو الى الصيدليات لشرائها طلبا للشفاء، أكثر أهمية وأعظم عند الله درجة من المعوذات وآيات النفاء التي يكتبها هي ايضا لنفس الغرض. فكل من الآيات لمكتوبة والعقاقير المشروبة والعميات الجراحية المستعملة لاقوة لها في حد ذاتها لدفع المرض او استعادة الصحة ولكنها اسبابٌ ووسائل ليس إلا! فالشافى الحقيقى انما هو الله وحده. ولقد جاد من قال:

إِنَّ الطَّيِّبَ لَذُو عِلْمٍ وَمَعْرِفَةٍ • مَا دَامَ فِي أَحْلِ الْإِنْسَانِ تَأْجِيرُ
حَتَّى إِذَا مَا انْقَضَتْ أَيَّامُ مَدَّتِهِ • حَارَ الطَّيِّبُ وَحَانَتْهُ الْعَقَاقِيرُ
اما احتجاج الوهابيين بالحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَيْمَمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ).

والحديث القائل: (مَنْ عَلَّقَ تَيْمَمَةً فَلَا أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ وَمَنْ عَلَّقَ وَدَعَةً فَلَا وَدَعَ اللَّهُ لَهُ). فهو — على ما أعتقد — من الوهم اللغوى عندهم لأن التائم معناها في اللغة «حَرَزَات» وهى ما ينظم في السلك من الجذع والودع وما يستهها وقد كان الاعراب في الجاهلية يضعونها على اولادهم لوقاية من العين ودفع الارواح فلما جاء الاسلام نهاهم الرسول عن ذلك.

وعلى هذا فان المراد بالتائم والودع في الحديث المذكور إنما هى تائم الجاهلية ودعهم التى كانوا يعلقونها قبل الاسلام ولا يتصور حمل هذه الاحاديث على ما يكتبه المشايخ من الآيات القرآنية والاسماء الالهية للتعوذ بالله او لطلب الخير منه لما سبق ذكره من احاديث وآيات التفاء ولعدم التجانس بين هذه وتلك!

وشتان بين خرزة مثقوبة وورقة مكتوبة بحروف عربية ذات معنى صحيح مطابق بقوله تعالى: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَلَا تُدْعَوُ بِهَا • الاعراف: ١٨٠)

والدعاء سواء كان باللفظ او بالكتابة وسواء للدنيا او للآخرة كله جائز لقوله تعالى: (ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ • المؤمن: ٦٠) ولما في الحديث: (الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ)

هذا وينبغى استمرار المنع لخصوص تلك الجذع والودع التى مازال بعض العوام يستعملونها حتى اليوم. ويجب معها ايهاهم تبعا للاحاديث الصحيحة الواردة في عين هذه

الجدع والودع المعروفة.

و اما كتابة هذه الآيات القرآنية وهذه الأسماء الالهية لقصد الضرر وظلم عباد الله كاهلاكهم مثلاً وإتلاف أموالهم أو لإدخال العداوة بينهم فهو الممنوع المحرام يعاقب به فاعله والمفعول له معاً إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً ويحرم كذلك الدخول بها في الأماكن النجسة والمواضع المقدسة. ويجب على المشايخ التنبيه عليه وتحذيره، وإن لا يكتبوها إلا لمستحقها لعرض جائر شرعاً وتكون مستورة بظاهر كالجلد ونحوه وحينئذ لا حرج والله اعلم.

بيان أوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم

تختلف الآراء والاتجاهات من دعاة الوهابية إما اختلاف و كأن لكل واحد منهم أوامره ونواهيه الخاصة به ينفردها دون غيره وليس من السهل التوفيق بين هذه الآراء المختلفة وتلك الاتجاهات المتناقضة والجمع بينها.

وبما أن الواجب على المرء أن لا يقبل كل ما يقال عن شخص أو مذهب أو طائفة حتى يثبت لديه صحة ذلك، بأن يسمع من ذلك الشخص ما قيل عنه أو يقرأ كتبه أو يجمع بأصحابه المقربين لذلك بذلت جهدي في تحصيل الكتب الوهابية لأقف على حقيقة هذه الدعوة قبل أن أصدر حكماً لها أو عليها وقد اطلعت على بعض هذه الكتب وقرأت شيئاً من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورائه كما اجتمعت ببعض وهابيين بلادنا البارزين واستمعت إليهم وفهمت مقاصدهم وخلال مقارنتي بين مقالات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبين ما هو عليه وهابيو بلادنا لاحظت اختلافاً جوهرياً في الأقوال والأفعال بل وفي العقائد بين الإدارة الوهابية وبين المتوهمين الآخرين وخاصة ولئك الموجودين معنا الذين يخالفون الشيخ تماماً وبصفة غير معهودة بين المتبوع والتابعين وذلك مما يؤكد بوضوح على أن الدعوة الوهابية قد أصابها داء التعصب والفوضى من قبل بعض المتطرفين والمنحرفين الذين سلبوا من هذه الدعوة جميع القيم والمثل العليا و

أقل ما يقال فيهم، هم اصحاب مراء وجدال استولى عليهم الجهل والتعصب - بل هم قَوْمٌ خَصِمُونَ -»

وها انا انقل لك ايها القارئ الكريم بعضا من الرسائل التي كتبها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى بعض أتباعه والتي ذكر فيها عقيدته وما هو عليه. قال رحمه الله بعد البسملة والصلاة على النبي: «أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أنني اعتقد ما اعتقده اهل السنة والجماعة من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله. وأقر بكرامات الأولياء إلا أنهم لا يستحقون من حق الله شيئا ولا أشهد لاحد من المسلمين بجنة ولا نار، الا من شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولكني ارجو للمحسن وأخاف على المسيء. ولا أكفر احداً من المسلمين بذنبه ولا اخرجه من دائرة الاسلام. وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم الى الله.

ونحن في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل ولا ننكر على من قلّد الائمة الاربعة دون غيرهم. ولا نستحق مرتبة الاجتهاد ولا احد منا يدعيه.» انتهى ما نقلناه من رسائل الشيخ ابن عبد الوهاب التي يثّن فيها عقيدته وما هو عليه. [١]

ولكن لننقل لك ايضا - ايها القارئ الكريم - بعض المحاورات والمناظرات التي جرت بيني وبين الأصدقاء الوهابيين ليتبين لك عقيدة وهابي بلادنا، ولتعلم أيضا بان جميع ما ذكرناه في هذا الكتاب من احوال الوهابيين انما هو عن علم اليقين. «وليس الخبر كالعيان.» لقد قمت مرة بزيارة لمدينة «سيكاسو» فجاءني بعض الأصدقاء من الوهابيين للسلام على كالعادة ولما استقربنا الجلوس شرعنا في الحديث عن الخلافات الدينية وتأثيرها في المجتمع واقترحنا ان نتحدث فيما بيننا بنوع من الصراحة لنجد التفاهم ونزيل الخلافات القائمة بيننا. فابتدرت بالسؤال قائلا: لماذا خرجتم من المسجد وتركتم الصلاة معنا فهلاً نُصلي معاً فمن شاء منا يقبض يديه ومن شاء يسدل كماهى الحال في كثير من المساجد؟ فأجابني احدهم قائلا: لا يا أخى المشكلة ليست في القبض او في السدل ولكننا في الحقيقة نعتبركم مشركين فلا نرى صحة الصلاة خلف واحد منكم ثم قلت له: لأتى شيء تعتبروننا مشركين؟ قال: لأنكم تعلقون التمام وتتوسلون بالأنبياء و

(١) نقلناه من كتاب «لشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية»

الصالحين. فعلمت ان هذا الاخ مصاب بداء الجهل وهو بحاجة الى طبيب الارشاد. وتحدثت مرة اخرى مع صديق آخر منهم فقلت له: لو استطاع المسلمون ان يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفوفهم بدلاً من هذه الخلافات لكان خيراً لهم فأجابني الصديق: نعم ولكن لا يستطيع المسلمون ان يتحدوا الا اذا تمسكوا بالكتاب والسنة وتركوا ماسواهما من المذاهب والطرق التي هي مصادر الاختلاف بين المسلمين. ومادام يقال هذا مالكي وذاك شافعي وآخر حنبلي فإن الاتفاق بين المسلمين محال. فعلمت أيضاً ان هذا الاخ أشد جهلاً من الاول وقد بلغ به جهله ان ينكر كل شيء حتى على المذاهب الاربعة المجمعّة على صحتها.

وفي مدينة «قاوننى» حيث بنوا مسجداً جديداً يؤدون فيه صلاة الجمعة بجوار الجامع العتيق تحدثت يوماً مع واحد منهم فقلت له: ما رأيكم في هذا المسجد الذى تقيمون فيه صلاة الجمعة هناك جامع عتيق غير ضائق وليس ثمّ عذر شرعى يمنعكم من الصلاة فيه؟ ومع ذلك فمسجدكم هذا في بعض الاوقات لا يجتمع فيه اثنا عشر رجلاً فكيف ترون صحة صلاة الجمعة في هذا المسجد؟ فقال لى شكراً على هذا السؤال ولكن لا تنس أن هذا التحديد الذى ذكرتموه من ان صلاة الجمعة لا تصح بأقل من اثنى عشر رجلاً انما هو من قول الامام مالك رضى الله عنه قلنا نحن متقيدين به ولا بغيره من الائمة فالمعمول عندنا ان صلاة الجمعة تصح باثنين وبثلاث وبأربع بلاحد.

وأعجب من هذا فقد جاءنى فى العام الماضى اخ وهو من اهل البادية فى نواحي «نيسور» وقال لى بأنه جاءهم رجل من علماء الوهابية وأفتى لهم بجواز أداء صلاة الجمعة لكل شخص حيثما حضرته الصلاة سواء كان فى القرية او فى الفلاة، وحجته فى ذلك أن المسلم حيثما صلى فهو يصلّى مع جماعة من الملائكة وقال لى هذا الاخ بأنه شخصياً صلى صلاة الجمعة مع ثلاثة رجال من الوهابيين وهو رابعهم صلوا هذه الصلاة بلا خطبة ولا فى مسجد مبنى، فسألنى ذلك الاخ عن صحة تلك الصلاة، وأمرته بالاعادة ظهراً لعدم توفيتها شروط الجمعة.

ومن جملة ما يجرمه وهابيو بلادنا الصور «الْفُوتُوغَرَفِيَّةُ» حتى ان بعضهم لا يبيع ولا يلبس الأقمشة التى توجد فيها صور الاشخاص او الحيوانات ولا يخفى أن علماء

الحرمين الشريفين قد افتوا بجواز هذه الصور «الْفُوتُو غَرَفِيَّة» لأهميتها في شتى المجالات ولا حاجة لنا إلى السؤال هل الصواب مع هؤلاء المتطرفين ام الحق مع علماء الحرمين الشريفين؟

اما التدخين فليس بمحظور في شريعتهم على الارجح لاجتماع غالبيتهم على استعمال هذه المادة الضارة فلا نزال نشاهد الدخان يخرج من فم الاخ الوهابي وهو لا يستحي ان يضر نفسه ولمن يقربه من نشن هذا الدخان بينما قرأنا في الكتب الوهابية بان الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يحرم التدخين.

فاذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول صراحة بأنه مقر لكرامات الأولياء. ولا يكفر احداً من المسلمين بذنوب وهو في الفروع على مذهب الامام احمد بن حنبل فإن اتباعه اليوم قد خرقوا جميع هذه المقررات واستحقوا بأن نسميهم «وَهَّامِينَ» بدلا من الوهابيين لانتهاجهم سلوكا اخر غير الذي قرره الزعيم الوهابي.

و استناداً منا على هذه الحقائق المذكورة فإن الدعوة الوهابية قد تحولت هنا الى دعوة تجارية يستغلها البعض على حساب البعض الآخر.

و الوهابية هنا - على التحقيق - عبارة عن انكار أولياء الله تعالى، وعن التشديد في الدين، والتقليل من ذكر الله والصلاة على نبيه المصطفى وأضيف الى ذلك عدم الاحترام للسادة المشايخ، ولآل بيت النبي فكل من تكونت في شخصيته هذه الصفات فهو الوهابي الكامل، الذي يسمى عندهم بالسني.

هل هم سُنيّون أم وهابيون؟

يفالط البعض في هذه المسألة أسوأ الغلط حيث يسمون أنفسهم بالسنيين، بينما لا علم لهم بالسنة إلا اسمها ولا صلة لهم بها أكثر من ادعائها والتفاخر بها كأنها في نظرهم لقطة فلاة يختص بها اللاقط مهما كانت صفاته وكيفما ساء سلوكه وأخلاقه. ولكن هيهات ان تحقق الادعاءات نفعا، او تقيم لأصحابها وزنا.

ويزعم هؤلاء المعنيون انهم سنيون وليسوا بوهابيين والعجب كل العجب ان يدعى الجاهل انه سني او انه زعيم للذين بارز وليس من المعقول ان يكون الجاهل سنيا فان العلماء أنفسهم عجزوا ان يكونوا سنيين حقيقيين إلا الخواص - وَقَلِيلٌ مَا هُمْ - فكيف بالجهال الذين هم في واد والسنة النبوية في واد.

فالسنية عبارة عن اتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه والافتداء باقوالهم وأفعالهم وسلوكهم وأخلاقهم وذلك يقتضى العلم والعمل معا وبفقد الاول تكون سنية الجاهل محالا وبفقد الثاني تكون سنية العالم باطلا ولا بد من اجتماعهما معا وإلا فهي سنية اللسان لا غر فنحن لانقبل سنية الجاهل مهما طالت لحيته او شتد تنسكه. وفي الحديث: (سُرَّأَتْنِي رَجُلَانِ غَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ وَجَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ) وقال الشاعر:

فسادٌ كبيرٌ غَالِمٌ مُتَهَنِّكٌ ۝ وَأكْبَرُ مِنْهُ جَاهِلٌ مُتَنَسِّكٌ
هُمَا فِتْنَةٌ لِلْعَالَمِينَ عَظِيمَةٌ ۝ لِمَنْ يَهْمَا فِي دِينِهِ يَتَمَسَّكُ

وقال الآخر:

«كَمْ لِحِيَةٍ ظَالَتْ عَلَى ذَقَنِ جَاهِلٍ ۝ وَمَا تَحْتَهُ إِلَّا الْغَبَاوَةُ وَالْجَهْلُ»

فالسنة لنسبوية تلاحظ صاحبها في جميع حركاته وسكناته وتراقبه في كل العبادات والمعاملات من المشي والكلام والأكل والشرب والبيع وغيرها وهي تفرض على المرء ان لا يفعل فعلاً حتى يعلم حكم الله فيه ويسأل العلماء و يقتدى بالمتعین لسنة محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن هنا نعرف ان السنة لا تكون في زى خاص ولا في هيئة معينة، بل هي اشرف من ان تستتر في مثل تلك الاماكن التي ان هي الآ حبال يصطاد بها ضعفاء العقول و العقيدة. وفي الحديث: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَلَا إِلَى أَقْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ) رواه الطبراني

هذا وقد نفهم من خلال هذا الحديث الشريف ان هذه الشعارات الابهامية التي يعتمد عليها بعض دعاة الوهابية و التي تتمثل في توفير اللحية و لبس البيض و التغطى بالعمامة وما الى ذلك لا تكفى بأن تكون تعريفا كافيا للسنى الحقيقى وهم - مع الاسف - قد اخطأوا في تقدير السنة حيث قيدوها في نوعية اللباس و في ظاهر الهيئات.

و انما يعرف السنى بطواهر تقوى الله في السر و العلانية و بامثال الأوامر و اجتناب النواهي و بالصدق في القول و الاخلاص في العمل و بالقيام بوظائف العبادات من الفرائض و السنن و النوافل و أدائها كاملة غير منقوصة.

و يعرف السنى كذلك بالتحلى عن الاوصاف الذميمة و الاحوال الوضيعة و التحلى به بمحاسن الصفات و مكارم الاخلاق.

فمن شأن السنى ان يدعو الناس الى دين الله تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة و يجادلهم بالتى هي أحسن. كما من شأنه أن لا يكون سباباً ولا لعناً ولا فظاً غليظاً ولكن هينا لينا يعفو و يصفح و يبشر ولا ينفر اقتداء بالرسول الكريم القائل «لَمْ أُرْسَلْ سَبَاباً وَلَا لَعَنًا» و الذى قيل عنه: (وَلَوْ كُنْتُ فَقْطاً غَلِيْظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَأَعَتْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمْ وَشَاوَزَهُمْ فِي الْأُمْرِ آل عمران: ١٥٩)

و السنى - بعبارة أوجز - هو من وضع قدمه على قدم الرسول صلى الله عليه و سلم بحيث تكون أقواله و أفعاله مطابقة لأقواله و أفعاله صلى الله عليه و سلم يصدق لسان حاله لسان مقاله و يكون متصفا بمكارم الأخلاق في سائر احواله السرية و الجهرية و في جميع تصرفاته و معاملاته مع الناس.

و السنى لا يتجاهر بسنيته ولا يتفاخر بها بل يخفيها قدر الامكان خوفا من الابتلاء و جريا على عادة السنيين الحقيقيين. و يكون السنى مجتنباً للكذب و الغيبة و النميمة عازلاً عن حب هذه الدنيا الفانية وما فيها من الشهوات النفسانية راضياً بالقضاء

حلوله و مره لا يخطر بقلبه حسد ولا رياء ولا رؤية فضل على الغير ويكون شغله الشاغل مراقبة قلبه عن أن يدخله ما سوى الله ومعالجته من امراض الكبر والحسد والعجب والحرص و تطهيره من دنس الخواطر النفسانية والوساوس الشيطانية ويترك الهذرو الفضوليات و يتقى الشبهات في مأكله ومشربه وملبسه ويحذر الغش في بيعه و شرائه ويراعى حقوق جيرانه و يتحمل أذاهم و يوقر كبار المسلمين ويرحم صغارهم و يساعد الضعفاء و المحتاجين.

و يقدم المصلحة العامة على المنفعة الخاصة و يصل من قطعته و يعطى لمن حرمه و يعفو عن من ظلمه و يحب لغيره ما يحب لنفسه و يضيف السنى الى كل هذا الاحتساب الى الله و تفويض أمره اليه لا يأمن مكر الله ولا يقنط من رحمته بل يكون دائماً بين خوف و رجاء لا يزكى نفسه ولا يعجبه علمه او عمله لما فى الحديث: (النَّاسُ كُلُّهُمْ هَلَكِي إِلَّا الْعَالِمُونَ، وَالْعَالِمُونَ كُلُّهُمْ هَلَكِي إِلَّا الْعَامِلُونَ، وَالْعَامِلُونَ كُلُّهُمْ هَلَكِي، إِلَّا الْمُخْلِصُونَ وَ الْمُخْلِصُونَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ.)

فتلك نبذة يسيرة من اخلاق السنى وهذه صفاته فانظر نفسك ايها الاخ الوهابى، فان كنت هكذا فأنت سنى حقاً. وإلا، فلا! و اياك ان تكون من الذين يقولون مالا يفعلون قال تعالى: (كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ الصف: ٣)

صدق الله العظيم

وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها

فصلة الرحم واجبة في الكتاب والسنة والاجماع قال الله تعالى:

(وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۖ النِّسَاءُ : ١)

ومعنى الآية - والله اعلم - اتقوا الله وصلوا ارحامكم ولا تقطعوها لاسباب غير شرعية وفي الحديث: (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَا الرَّحْمَنُ حَلَفْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا إِسْمًا مِنْ إِسْمِي فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ) رواه الطبراني عن حرير وقال عليه السلام: (الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ نَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللَّهُ) أخرجه الطبراني والبيهقي ويروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَنْ دَنَبَ أَجْدَرَ أَنْ يُعْجَلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّحِرُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ)

ولهذا جاء الاسلام مهتما بشأن الارحام وحث المسلمين على صلتها ورعايتها في جميع المستويات وأكد لهم من ان قطعها مما يستوجب اللعنة وسوء العاقبة قال تعالى: (وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ رعد : ٢٥)

وقد ظلت صلة الرحم عنصرا هاما من عناصر الدين وهدفا حيويا من اهداف الاسلام ولها اهمية كبرى في الدين والمجتمع ومن الضروري ان نوليها - بحدا ايضا - اقصى ما يمكن من الاهتمام لأنها اى الرحم عاهد الله تعالى ان من قطعها قطع الله ومن وصلها وصله الله والله لا يخلف الميعاد.

فمن واجبا - نحن التلاميذ - وكل المسؤولين ان نعلم احوان المسلمين كيف يجب عليهم مواصلة ارحامهم وكيف يحسون المعاصرة فيما بينهم وذويهم وما وعده الله للفائمين بهذه الواجبة الانسانية. ونحذرهم كذلك من معة قطع الارحام وتفريق وحدة المسلمين وما يترتب عنهما من الندم والخسران في هذه الدار وتلك الدار الآخرة. وفي الحديث: (إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ لَا تَنْزِلُ عَلَى قَوْمٍ فِيهِمْ قَاطِعُ رَحِمٍ) رواه الاصبهاني وقال عليه السلام: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) ومتفق عليه عن ابن عمر

فالسعيد من لم يكن سببا للتفريق بين الامة اولادخال العداوة بينها و يقول الرسول عليه السلام: (أَيُّمَا رَجُلٍ قَامَ يُفَرِّقُ بَيْنَ امْتِنَى فَاضْرِبُوا عُنُقَهُ) و يَقُولُ ايضاً: (الْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا) رواه الديلمي

هذا ومادنا في موضوع صلة الرحم فمن المناسب ان نورد هنا مسألة بر الوالدين و وجوب طاعتهمما والاحسان اليهمما قولاً وفعلاً والدعاء لهما في حال الحياة و بعد الوفاة لانهمما سبب الوجود وسر الحياة وخاصة الدين ربنا كترية اسلامية. فعقوقهمما من الكبائر التي يترتب عليها الوعيد والعياذ بالله. فلا يحثك على عقوقهمما و مقاطعتهمما إلا عدوك الذي يتهر فرصته ليحتس مالديك ثم يترأ منك يوم تقف بين يدي الله تعالى.

وهناك من افراد الوهابيين من يعوق والديه ويعتبرهما مشركين لا لشيء سوى انهمما لم يستسلما للدعوة الوهابية و لم يقبضا أيديهمما في صلاة ولايراعى فيهما حقوق الابوة ولايؤدى لهما واجب البنوة وهو يعرف ان أباه هو الذي أخذ بيده وهو صغير وذهب به الى المعلم ليعلمه مبادئ الاسلام وشرائع الدين فلما كبر هذا الولد المسكين وتوهب أبى الا ان يسمى اباه هذا متركاً عارفا ان لايعامله الا بقدر ما يجوز التعامل به بين المسم و المشرك.

وصار- بهذا القرار- ناسيا او متناسياً كل ما قدم له هذا الوالد من عناية ورعاية، وحوماً يام مهده وصباه. وقد أساء شيطانه أنه لو ذهب به ابوه يومئذ الى الكنيسة لصار رهبانيا او الى الكاهن لكان ساحراً عيماً. فادا كان هذا هو حزاؤك لوالدك ايها الولد فأين جزاء الاحسان بالاحسان؟

هذا ولاتك ان هناك يدياً محرمة تحركهم من تحت الستار وتسجهم على المضي بماهم عليه من العقوق والتقاطع مع آرائهم وذويهم و تزين لهم سوء أعمالهم هذه بانها نوع من الجهاد وانها من امتثال اوامر القرآن حيث يقول الله تعالى: (لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ * الْمَحَادِلَةُ: ٢٢) فانقوا الله ايها الأولاد وادكروا قوله تعالى: (وَقَصَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا * الاسراء: ٢٣) وقوله عليه السلام: (الْبَجَّةُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْأَقْبَاتِ) رواه الحاكم وصححه

خاتمة الكتاب

وفي الختام أرجو من الاحوة الوهابين سامحني الله واياهم ان يرجعوا عن الانكار بما لم يحيطوا به علما وان يبادروا إلى التوبة بالندم على ما فات قال الله تعالى (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً) وان يجتنبوا سوء الظن باخوتهم المسلمين قال تعالى: (إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ * الْحَجَرَاتُ: ١٢) وقال: (فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى * النجم: ٣٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه احمد عن ابى هريرة وقال ايضا: (طوبى لمن شغلته غيبته عن غيوب الناس) اخرجہ أبو نعيم هذا ولا بد من نهى المنكر ايا كان مصدره لقوله تعالى: (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ * آل عمران: ١٠٤) ولقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ وَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) رواه مسلم والترمذي

ولكن يجب التمييز بين كبائر الاثم وصغائر الذنوب وبين ما يؤدى إلى الشرك وما يفضى إلى الحرام ولا يجوز تكفير المذنب ولا تحريم المكروه

وقد جعل الله لكل شيء قدرا وهو سبحانه وتعالى المحلل والمحرم وليس لأحد تغيير احكامه، ولا تعديده حدوده وإنما عليه وضع النقاط على الحروف قال تعالى: (وَلَا تَقْنَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُقْنَدِينَ * المائدة: ٨٧) وقال: (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ * الطلاق: ١) صدق الله العظيم

و على ضوء هذه الآيات البيّنات والاحاديث النبوية الشريفة نوجه ندائنا الى قادة الامة من العلماء والحكام وجميع اولياء الامور بصفة عامة ان يشاركوا على انقاذ هذه الامة التى تكاد تفقد دينها ودنياها و كل شرفها ومعنوياتها. فعليهم أن يؤدّدوا صفوفهم ويضعفوا جهودهم و يعملوا لتحقيق فرص التفاهم والتآلف بين جماهير المسلمين و يتعین على هؤلاء القادة اينما كانوا ان يساعدوا - بكل ما هو ممكن - على حل الخلافات و

المشاكل القائمة - اليوم - بين افراد المسلمين وجماعاتهم خدمة للدين و الوطن والانسانية
جماء.

ومعلوم بالصورة ان الخلافات كانت موجودة بين فئات المسلمين عبر القرون
والمعصور. ولكنها لم تكن قد وصلت الى درجة تكفير المسلمين بعضهم بهم مثلما حدث
فعلا من بعض دعاة الوهابية المتطرفين الذين تضررت بهم الأخوة والدين والارحام معا.
وحبذا لو تدخلت الحكومات بصورة جدية في شأن هذه النزاعات الأشرعية و
وضعت حداً نهائيا لحل تلك الخلافات باعتبارها خرقا لقوانين الشرعية الاسلامية التي
يجب على الجميع تطبيقها. وإلا ضربت بقيود من حديد على أيدي اولئك المحرمين الذين
يسعون باسم الدين وراء مصالحهم الشخصية. وإذا لم تقم الحكومات بواجباتها نحو حل
هذه الخلافات فإن عواقب الشعوب ستظل مضطربة وسيستهي الأمر إلى حروب أهلية
لا محالة.

ويتعين كذلك على ساداتنا المشايخ، المعلمين منهم والمربين وجميع الائمة
والوعاظ ان يشاركوا بدورهم على تحقيق هذه الغاية النبيلة و يعلموا أتباعهم وتلامذتهم
ضرورة توحيد المسلمين واحترام بعضهم بعضا. وان يلازموا الحذر كي لا يتخذهم الشيطان
وسيلة للتفريق والقاء العداوة بين المؤمنين. وعليهم ان يقدروا هذه المسؤولية الجسيمة التي
وضعها الله على عواتقهم والتي هم مسؤولون عنها امام الله. قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: (كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ) متفق عليه

وذلك ما نزيد ان يفهمه ايضا قادة الوهابية ليساعدوا الامة الاسلامية على جمع
كلمتها وحماية وحدتها بدلا من اثاره الفتن والخلافات بين صفوف المسلمين.
وهذا ما تيسر لنا جمعها من هذه المسائل على اننا نقدر بل ولم نحاول ان نستوعب
جميع ما تتطلبه هذه المواضع من الشرح الطويل والبحث الدقيق وانما هو امتثال فقط
بوجوب النصيحة وايمان بان الذكرى تنفع المؤمنين.

وفي الختام نتوجه الى الله القدير قائلين اللهم أيد الاسلام واجمع كلمة المسلمين و
وفقههم لرؤية الحق حقا وأعنه على اتباعه ولرؤية الباطل باطلا وأعنه على اجتنابه اللهم
انت الشاهد وكفى بك شهيدا ان اريد الاصلاح ما استطعت وما توفيقى الا بالله عليه

توكلت واليه انيب سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

تقاريف العلماء

ولما انتهينا من كتابة هذه المؤلفه عرضناها على كثير من علمائنا المفقهيين و
أساتذتنا المشفقين في مختلف الاماكن والاوطان وطلبنا منهم ان يبدوا بآرائهم
وملاحظاتهم - وانتقاداتهم - بكل حرية - حول موضوعات هذه المؤلفه وعباراتها ورجونا
منهم كذلك ان يساعدوا على تحسين ما يصدر فيها من الخطأ والمفوات.

وقد تفضلوا مشكورين بتلبية طلبنا وتحقيق رجائنا. حيث قاموا بمراجعتها و
تصحيحها مرات عديدة وأدخلوا فيها مزيدا من التغييرات والتعليقات حسبما تتطلبه
الحاجة ويقتضيه الموضوع

وأخيرا أعربوا جميعا عن استحسانهم بهذه المؤلفه وتأييدهم لها. ونحن اذ نحمد
الله تعالى في البداي والتمام فلا ننسى ان نشكر السادة العلماء على مشاركتهم معنا. في
تحقيق هذه المحاولة المتواضعة، وتشجيعهم إيانا تشجيعا بلغ الغاية.

ولأدلل على ذلك من هذه التقارير التي كتبوها بمحض إرادتهم وبعثوها إلينا
من مختلف المدن والجمهوريات وفيما يلي نص تلك التقارير على التوالي

حضرة لآخ الحاج مالك به : إننى راجعت الرسالة من اولها الى آخرها كباحث
و متفقد حرفا حرفا بل جملة او كلمة فوجدتها صحيحة و موافقة للموضوع الذى قمت لسببه
وهو الرد على الوهابية. فكللمات الرسالة جديرة بأن تكتب باللجين.
فارجو من الله تعالى ان يزيدك فهما وان يعينك على الاصلاح ما استطعت وان
يجعل مثواك غدا مع الابرار وان يغفر للمسلمين أجمعين.

من الاخ ابى بكر جحنى

مدير مدرسة «سبيل الديانة» موبتى

جمهورية «مالى» MALI

بسم الله الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله و بعد فليعلم الواقف على هذه
الورقة أن قد طالعت هذا الكتاب بعين الرضى صفحة بعد صفحة فوجدته صحيحا فوق
العاية مكتوبا بقلم الفصاحة والبلاغة والادب بل هى جريدة حسناء بلغت الغاية فى
الجمال.

فحراك الله عن الاسلام خير الجزاء وأدام شمس سيادتك العلية ورعاك بعين
رعايته من حاسد اذا حسد والحمد لله على التمام ودمتم بحير وعافية.

الكاتب عثمان عبد الله سكلى

المدرس فى مدينة سنس عبد الله عصمه الله

جمهورية «مالى»

ومن مدينة تمبا كندا - بالسنگال - بعث الينا الاستاذ جيران الحسين جاكوب هذا

التقريظ القيم استهله بقوله :

قال الحسين بن محمود جاك : شهدت بالله الله فى الله بانك جاهدت جهدك فى

سبيل الله جزاك الله عن الاسلام خيرا من اجل فرحى كتبت الحروف بقوى :

للرد والتحقيق بل لتودد	الحاج مالك به أفضى برسالة
بعناية من فيض جود محمد	فبخ بخ لرسالة مرسومة
و دراية ومواهب من ماجد	برواية منقولة من سنة
فحزاه ربي بالجراء الامجد	اساده أى الكتاب المحكم
فرح الغيور لصون سة احمد	ممرور والمعور كل سادم
متجاهدا حتى تلاقى احمد	دم باحثا متضلعا متورعا
يهدى اليه هداة دين محمد	صلى عليه الله مادام الهدى
ومن انتمى يوم الدين محمد	والآل والاصحاب مع ازواجه

اهـ

الحسين بن محمود جاك
الخطيب الاسلامي بدار الاذاعة الوطنية
«تبا كندا» جمهورية السنغال

ومن مدينة كيهيد بالجمهورية الاسلامية الموريتانية اتصلنا بالتقريض التالى الذى بعثه اليها رميلنا هارون موسى جل معلم القرآن الكريم وهذا نصه: الحمد لله الذى قدر فهدى و الصلاة و السلام على مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم و بعد: ان الاح المسلم و الصديق المهيم السيد الامتاذ الحاج مالك به جدير بان يكتب اسمه مع اسماء العظماء الذين ناضوا و صبحوا ارواحهم و هدروا دمايهم العالية للحق و من اجل الحق.

وان هذا التأليف لجدير ايضاً ان يكتب بماء الذهب و الفضة و انى اقسم بالله: قد وضعت السقاط فوق حروفها و قد امطت اللثام عن حركات المشبهين لدين الله و الذين جازوا بالبدع و كفروا كل من حالف بدعهم و اهواء هم الماسدة. والله و قد رادوا الطين دلة لمخالفة رؤساء الاسلام فى مسئلة الاعاثة و اخطوا فى التقدير رغم اجتهدهم فى الدين و كلمة التوحيد اقال الله عثرانا و عثراتهم.

وانا لنشكر الله عروجل ثم نشكر الاخ على نصحه لجميع المسلمين سدد الله

خطاك ايها الاخ المسلم و يبارك فيك و في قلمك الميمون.

هرون موسى جل

معلم القرآن الكريم في مدينة كيهيد

ج الاسلامية الموريتانية

الحمد لله الذي اهدى اليينا السيد الفاضل الغيور والناصر المعين القائم لقمع البدعة الوهابية الذين هم تركوا السواد الاعظم و خرقوا عصي الاجماع وظنوا انهم على شئى استحوذ عليهم الشيطان واستولى عليهم حتى تركوا ذكر الله وأنكروا اولياء الله و شتموا اهل الله وعباده الصالحين لعداوتهم وجراءتهم على الاولياء والصالحين و من نظر الى هذه المؤلفة بعين الانصاف وأنعم النظر فيها يعلم أن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء من عباده. اذ اخذ المدرعة لضرب رؤوس اولئك الذين يوحدون بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً. وهذا من اعظم الاجتهاد في سبيل رب العباد والذب عن الاولياء الصالحين وعباد الله المقربين فجزاه الله خير جزائه.

الحاج سعيد جل - بمكو

جمهورية «مالى»

ولما وقف على هذه المؤلفة الشريفة المريد الحقير عبد العزيز المنصور ابن الحاج يوسف صمب الله دارمى. قال في مدح منشئها وراقمها بقلم العجالة والاضطراب هذه الابيات:

من بحر الزخار ذات دلائل	لله درفتى أنى برسالة
ردت دعاوى كل أحمى جاهل	عند راء لم تسبق بميدان الحمى
أبشر فسعيك واصل للعدل	يا مالك العالمين ظهير باطن
من مكر شرذمة بعزم مناضل	صنت الطريقة اهلها بردودها

نرجو بك النصر المبين لنهجزنا
اعطاك ربك مبتغاك بهذه
عبد العزيز كتبها معجالة
انى احبك فى الاله وأحمد
لطريقة القطب الشهير الواصل
وبتلك بالهادى الامين الفاضل
إذ فى القطار يقونى بتمايل [١]
ختم الرسالة والولاية عامل

الاستاذ عبد العزيز دارمى امام الجامع فى مدينة ينقام جمهورية سيراليون
SIERRA LEON

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى انزل الكتاب على عبده وحمله منهاجا لكل عابد اواب وامره
فيه بان يدعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة (أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة
الْحَسَنَةِ النحل: ١٢٥) والصلاة والسلام على معدن الحقائق ومرشد الخلائق القائل
(نصر الله امرا سمع منا فبلغه كما سمعه) قرب مبلغ اوعى من سامع سيدنا محمد الهادى
الى صراطه المستقيم وعلى آله واصحابه حق قدره ومقداره العظيم.
وبعد: فقد اطلعت على - تأليف اخينا فى الله الاستاذ الاديب الاربى الذى اثار
الله عقله لخدمة الاسلام والمسلمين السيد (بالحاج مالك) ابقاه الله منارا لكل سالك،
فوجدته مع صغر حجمه احسن وافضل كتاب الف فى هذا الجانب، ولم اتمالك نفسى ان
قلت موجزا:

تبليج نور فى ظلام جهالة
فبدد اوهام الضلال التى بها
على يد شاب مسلم متورع
عنيت به شمس الهداية مالكا
فله دره فتى متسمرا
ابان لمن رام السعادة والرضى
ميننا لنا حقا منار الطريقة
يضلل بعض المدعين لسنة
فقيه نزيه ذى تقى ومسروءة
حياه الاله بيل افضل منية
لنصرة دين الله فى كل لحظة
سبيل الهدى مستسهلا كل صعبة

(١) لقد كتب سيادته هذا التعريف ونحن على متن القطار بين مدينة حامى - ومكة العاصمة

اضاء لنا نهج الحقيقة واضحا
تفيض العلوم من يديه غريزة
اتى بعجيب حين عبر معلنا
حقائق اسلامية ترهق باطلا
حقائق تحصى عن بذاءة جاهل
ولن يجعل الله السبيل لظالم
فيارب وحدين كل الطوائف
دعوناك ربى ان تمّن لعصرنا
فيارب جازه على ما اجاده
وسامح لمحمود وبلغه للمنى
وعمم لكل المسلمين برحمة
وصل على الهادي الكريم وآله

وابدى لسالك بكل نصيحة
و يرشد جاحدا باوضح حجة
حقائق تزري للذعي بحكمة
بنص صريح من كتاب وسنة
ظلم كذوب ناسخ للشريعة
على مؤمن صونا الافضل ملة
على الحق حتى لانبالى بلومة
بامثاله حتى نفوز بوحدة
وابدل له عماهفا بفضيلة
ووفرله فيضا باحسن فيضة
تدوم عليهم من ذكور ونسوة
واصحابه دوما الى يوم بعثة

ونرجو الله ان تكون هذه نقطة بداية ينطلق منها ابناء بلادنا المثقفون المحصلون
لدينهم الى تحييص عقيدة الاسلام من الخرافات والاوهام التى يروجها الانتهازيون الذين
ينتحلون اسم الدين سميا وراء اغراضهم الشخصية نسأل الله الهداية والتوفيق انه على ما
يشاء قدير وبالاجابة جدير.

الفقيه الى الله محمود سليمان بوصو
المدرس بمدرسة «هدى الله» ص.ب: ١٨٣٦ بامكو
جمهورية «مالى»

حمدلن أسدى جلائل الايادى واسدل بسط العلم على من حباه من خواضر
والبوادى. وحصر مذاهب الائمة الاربعة والطرق الصوفية فى الكتاب والسنة. وجعل
مقلديهم من خيرة اهل السنة والجماعة. وصلاة وسلاما على مظهر الحقيقة والحق سيدنا
محمد ناصر الحق بالحق.

وبعد واننى لما من الله على بمطالعة ما ألفه صديقنا الصفي وحيينا الروحي
السيد الحاج مالك به ونظرت اليه بعين التأمل والانصاف فوجدته صحيحاً للغاية فحق
وأيم الله لكل مقلد للامام مالك. ولكل منصف سبيل القصد سالك. أن يستشهد عند
وقوفه على ما اوتى مؤلفه من المعارف والمدارى بقول جمال الدين الامام مالك حين قال: و
اذا كانت العلوم منحا الهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما
عسر فهمه على كثير من المتقدمين وأرجوان يجادل عنه الامام رضى الله عنه في دار البقاء
جزاء بمجادلته عنه في دار الفناء. وان يكف عنه اكف القابضين ويقطع بسيف تحقيقاته
رقاب ذوى التنطع الغالين بجاه سيد الاولين والآخرين والحمد لله رب العالمين

عثمان ابن عبد الله يقادو

مدرس القرآن الكريم في مدينة قِدْبَتْبِي

ثيتور ج. مالى

تم بعون الله وحسن توفيقه تأليف هذا الكتاب و ترتيبه وذلك مساء الجمعة ٧ من
شعبان عام ١٤٠٣ هجرية سنة ١٩٨٣ ميلادية نسأل الله سبحانه ان يجعل هذا
العمل خالصا لوجهه الكريم ومقبولا لديه صلى الله على سيدنا محمد وآله، وصحبه
اجمعين.

فهرسة الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ اهداء الكتاب	٣
٢ مقدمة الكتاب	٤
٣ خطبة الكتاب والباعث الى وضعه	٦
٤ الاسلام واهدافه في توحيد الأمة	٩
٥ الحركة الوهابية وتأثيرها في المجتمع	١٥
٦ الوهابية ومنعها التوصل بالأنبياء والصالحين	٢٢
٧ ما هو الشرك وكم أنواعه؟	٣٠
٨ الوهابية وانكارها للبدع مطلقا	٣٤
٩ بيان في احكام الطرق والاوارد الصوفية	٣٧
١٠ الوهابية ونفيها بتقليد أئمة المذاهب	٤٢
١١ مسألة القبض والسدل	٤٥
١٢ التداوى بالقرآن او باسماء الله تعالى	٥١
١٣ بيان اوجه التخالف بين الوهابيين أنفسهم	٥٤
١٤ هل هم سنيون ام وهابيون	٥٨
١٥ وجوب صلة الرحم وخطورة قطعها	٦١
١٦ خاتمة الكتاب	٦٣
١٧ تقارير العلماء	٦٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى يهدى من يشاء الى الاسلام والصلاة والسلام على رسوله
صلى الله عليه وسلم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ايها الاخوة الأعزاء ابلغكم التحيات
الطيبة بلا حد وبعد:

رأيت اماما من الوهابيين فى موضع الوعظ فى مدينة يوبو جلسوه وسمعت
وعظه وبعد فراغه منه اتيت وقلت له: ايها الامام انت وجماعتك كلكم فى ضلال
مبين فغضب علي وقال لى: كيف تقول هذا القول؟ فأجبت قائلا: قد استلمت
كتابا من تركيا يسمى بـ (علماء المسلمين والوهابيون). عندما قرأت هذا
الكتاب عرفت انكم فى ضلال مبين. فقال لى: اريد ان اقرأ هذا الكتاب فأعطيته
له وقرأ الكتاب بتمامه فى ثلاثة ايام. فرد على الكتاب وقال لى ما اسمك يا
عزيزى فأجبت بأن اسمى غامسورى عمر فقال قد صدقت يا عمر وعرفت الآن
اننا كنا فى ضلال مبين واترك انا واهلى هذا الطريق الباطل واتوب الى الله تعالى
توبة نصوحا واخذ يأتينى حينما فحينما ويشكر لى فى كل فرصة فأهديت له ذلك
لكتاب مع كتاب (مفتاح الفلاح)

ونشكر لى شكرا جزيلا وندعو لكم سعادة الدارين ونطلب منكم
الدعاء وارسال مجموعة من الكتب التى طبعتها مطبعة الاخلاص
وفى ختام رسالتى احمد الله تعالى حمدا كثيرا طيبا مبارك فيه. السلام
عليكم ورحمة الله وبركاته

اخوكم فى الله غامسورى عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

محالي الشيخ الاغر الكبيرت الاحمر حسين علي بن سعيد
استانبولي تركية والى سائر الاخوة الاعزاء اسعد الله اوقاتكم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

نحمد الله سبحانه الذي لا اله الا هو ونشكره على ما اسفغ علينا

من نعمة التي لا تحصى ونصلي على رسول الله خاتم النبيين وامام

المجاهدين وعلى آله واصحابه اجمعين

ونشكر سماحتكم الكريمة لما تقومون به وتبذلونه من جهد

كبير ونسب كثر نحونا ونحو طلاب معهد روضة الاسلام

بجزاكم الله عنا وعن الاسلام خيرا كثيرا

وبعد : فيمعدني جدا اذا احيطكم علما باذ جميع ما

تلقينا من سماحتكم الكريمة من كتب اسلامية

صوفية وما تلقتها طلاب معهد روضة الاسلام

قد وصل جميعها الينا ويبلغ عدد المبعوثه الينا والى

الطلاب مائتي ملبة وكل ملبة ثلاث كتب او ما يزيد

ومكتوب على كل ملبات اسم صاحبها من الطلاب والمدرسين

وببلغ نصيب كل منهم خمسة كتب فصاعدا

ونرجو من سماحتكم الكريمة ان لا تقطعوا عنا هذا المشروع

الكريم والله وحده يكافئكم ويجازيكم غير اننا فقراء مالنا

يد طوي تصل اليكم ولكن مع كل ذلك سنبذل جهد المستطيع

فيما طلبتموه من العامة ارسال التبرعات في شكل القسيمة

ان شاء الله تعالى

سنة ١٤٠٤
١٣٦٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم
على الاخوة الاعزاء يرأسهم الشيخ الأكبر حسين علي
ابن سعيد استاذي تركية امجد الله اوقاتكم واطال حياتكم
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
بشرى جده ان تقدموا الى الطلاب الجاهلين والجميع
الاخوان في انحاء العالم هذه النسخة الموجزة ونصها

أمة الإسلام اعلوا ان عقائد الوهابية منحصرة في اربعة اشياء
١ امانة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه طاهر
٢ امانة اولياء الله الكرام رضي الله عنهم اجمعين
٣ تكفير السواد الاعظم الموحدين
٤ تجسيم الله سبحانه وتعالى

وَقَدْ جَمَعْتُمَا هَذِهِ الْاَبْيَاتِ

وَالْتَضَعُ قِرْصِي عَلَى الْاِخْوَانِ فِي الْحَكَمِ	اَيُّ نَصِيحٍ لَكُمْ يَا اَفْضَلَ الْاَمَمِ
قَدْ سَأَعُ اِشْلَاقًا فِيمَا هِ الْحِلِّ وَالْحَرَمِ	اِنَّ الْوَهَابِيَّةَ الْمَلْعُونَةَ اَهْلُ
وَقَضَى عَلَى سَائِرِ الْاَشْيَاءِ كَالرَّمَمِ	يَقُولُ مَا لَكُمَا النَّيُّ لَيْسَ لَهُ
وَاِنَّهُ طَارِقٌ لَا قَاتِمِ الْيَمِّ	وَاِنَّهُ لَا يَطْفِئُ التَّجْعَ الْبَشَرِ
مُلْتَمِسَ الْخَيْرِ اَنْتَ عَائِدُ الضَّمِّ	يَقُولُ مَا لَكُمَا اِنْ زَيْدٌ اَكْرَمُ
عَلَى تَمَازٍ فَكَيْفَ كَانَ فِي الْقَدَمِ	يَقُولُ مَا لَكُمَا الرَّحْمَنُ مُتَجَلِّسٌ
مِنَ الْبِقَاقِ وَصَغْبُ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ	عَقَبَ بِصَيْرَتِهِمْ عَنْ مُسْكَرِ الْفَهْمِ
يَسْرِي الْمُوَحِّدُ بِالْاِشْرَاقِ وَالْوَحْمِ	يَا لَيْتَنِي يَتْلَمَعُونَ مَا عَيْدُ لَمْنِ
سَادَاتِنَا اِلَهَ وَالْقَضْبِ كُلِّهِمْ	صَلَّى اِلَآهَةً عَلَى خَيْرِ الْوَرَى وَعَلَى

ابيات لطالب المعهد روضة الاسلام
محمد التميمي حرره بن محمد العربي حرره
جمهورية مالي
R.p. تكملة

أَجْمَعُ إِلَى الْإِصْلَافِ

اتحاد أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من كتابه الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

بشرى كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار

تونس 1963

وفي الرابع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1229 . تسع وعشرين ومائتين وألف (الاثنين 13 جوان 1814 م) ، ورد البشير من الدولة العلية العثمانية . بأخذ الحرمين الشريفين من يد الوهابي ، وأعلنت مدافع الحاضرة سرورا بذلك .

ولا بأس أن نلمّ بخبر هذا الوهابي :

وهو أن رجلا يقال له محمد بن عبد الوهاب ، من تلاميذ الشيخ ابن تيمية الحنبلي ، منع زيارة القبور ، حتى قبور الانبياء ، ومنع التوسّل بهم الى الله تعالى ، والبناء على قبورهم وصرّح بكفر من يفعل ذلك وسماه مشركا ، زاعما أن الزيارة والتوسل عبادة ، وهي لا تكون الا لله تعالى . وترامت بهذا الرجل الاسفار الى أن استقرّ بالدعوة من أرض نجد ، فصادف بها آذانا واعية ، وقلوبا من العلم خاوية ، وألقى لكبيرهم سعود هذا المذهب ، واستدلّ له بظواهر آيات وأحاديث اغترّ بها عامتهم حتى استباحوا قتال المسلمين . ولم يزل هذا المذهب ينمو الى أن أفضى الامر لسعود بن عبد العزيز بن سعود . القائم الاول . فعظم الامر في زمنه ، ونصب حربيا للمسلمين عموما . ولاهل الحجاز خصوصا ، وصدّهم عن بيت الله الحرام . وزيارة قبر سيد الانام ، وعاث في أهل الحجاز ، وأطلق يد القتل والنهب فيهم . واستحكم هذا المذهب في قلوب أتباعه ، والتحموا به التحام النسب . واشتدت عصبيتهم وقويت . فطلبوا غايتها وهي الملك والسلطان . وأقاموا دعاة يدعون الناس الى مذهبهم . مع رسائل وجهوها لآفاق المسلمين ، فوصلت منها رسالة للقطر التونسي نصّها :

بسم الله الرحمن الرحيم . نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شر أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضللّ الله فلا هاديّ له ، ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشد . ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضرّ الا نفسه ولا يضرّ الله شيئا . أما بعد . فقد قال الله تعالى : « قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (١) . وقال الله تعالى : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ »

دُنُوبِكُمْ» (١) . وقال الله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » (٢) . وقال الله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَانْتَمَتْ عَلَيْهِمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (٣) . فأخبر سبحانه أنه أكمل لدين وأتمه على نبي الله صلى الله عليه وسلم . وأمرنا بعلوم ما أتى به اليأس من ربنا . وترك البدع وتفرقوا والاختلاف . وقال تعالى : « اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (٤) . وقال تعالى : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّلُوفَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » (٥) .

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أحرز دأب أمته آخذة ما أحده الامم قبلها شيئا ففسرنا ودراغا ودراغا . وأحرز في الحديث أن أمته ستفرق ثلاثا وسعين فرقة كلها في سر إلا واحدة . قالوا : « من هي يا رسول الله ؟ » قال : « مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي » .

وأذا عرفت هذا ، فمعلوم ما عمت به البلوى من حوادث الامور التي أعظمها الإضرار بالله . والتوجه إلى الموتى . وسؤالهم البصر على العبدى . وقضاء الحاجات . وتفرغ الكبريات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات . وكذلك التقرب إليهم بالذبح . ودبح القرذات . والاستعانة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد . إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى .

وَصَرَفُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لغير الله كَصَرْفِ حَمِيْعِهَا . لانه سبحانه أغنى الاعنياء عن الشركاء . ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه . وأجبر أن المشركين يدعون الملائكة والادباء والصالحين ليقربوهم إلى الله رُفْقَى . ويشفعوا لهم عنده . وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : « وَبِعُسْدُونٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ يُقُولُونَ هَذَا ، لَمَعَدَاتِ اللَّهِ فَلَا تَحْسِبُونَهُ لَمَعَدَاتِ اللَّهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي سُبُوحٍ وَلَا فِي لُجُجٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ » (٦) . فأخبر

أن من جعل بينه وبين الله وسائط لاجل الشفاعة فقد عبدَهم وأشرك بهم ، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا » (١) و « مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » (٢) وقال تعالى : « يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا » (٣) . وهو سبحانه لا يرضى إلا التوحيد ، كما قال تعالى : « وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى » (٤) . فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله ، كما قال تعالى : « وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (٥) . وقال تعالى : « وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَسًا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَلَئِنْ لَكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ » (٦) . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدمُ فَمَنْ دونه تحت لوائه ، لا يشفع إلا بإذن الله ، ولا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخبرُ الله ساجدا ، فيحمده بمحامد يعلمها أياها ، ثم يقول له : « ارفع رأسك واملُ تَعَطَّ واشفَع تَشْفَع » ، ثم يتحيدُ له حداثاً فيدخلهم الجنة . فكيف بغيره من الانبياء والاولياء ؟ وهذا الذي ذكرنا لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين ، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والائمة الاربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرَج على منهاجهم . وما حدث من سؤال الانبياء والاولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها وإسراجها والصلاة عندها وجعل الصدقة والنذور لها ، فكل ذلك من حوادث الامور التي أخبر بوقوعها النبي صلى الله عليه وسلم أمته وحذر منها ، كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يُلْحَقَ حيٌّ من أمتي بالمشركين وحتى تعبدَ أقوام من أمتي الاوثان » .

وهو صلى الله عليه وسلم حمى جانب التوحيد أعظم حماية ، وسدَّ كل طريق موصل الى الشرك ، فنهى أن يجصَّصَ القبرُ ويبنى عليه . كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وثبت فيه لفظ : أنه بعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأمره أن لا يدعَ قبراً مشرفاً الا سوءاً . ولذلك قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور » ، لانها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم .

(١) س ٢/٣٩ - ٤٤ (٢) س ٢/٢٥٥ - ٣ (٣) س ٢/٢٠ - ١٠٩ (٤) س ٢/٢١ - ٢٨ (٥) س ٢/٧٢ - ١٨
(٦) س ١/١٠ - ١٠٦

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل الامر الى أن كفرونا وقَاتَلُونَا واستَحَلُّوا دِمَاءَنَا وَأَمْوَالَنَا . حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم ، وهو الذي ندعو الناس اليه ونَقَاتِلُهُمْ عليه ، بعد ما نَقِيمُ عليهم الحجة من كتاب الله وسنة رسوله واجماع السلف الصالح من الائمة ، ممثلين لقوله تعالى : « وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ » (١) . فمن لم يُجِبِ الدعوةَ بالحجة والبيان ، دعوانه بالسيف والسنان ، كما قال الله تعالى . « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ » (٢) .

وندعو الى اقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر ، والله عاقبة الامور .
فهذا ما نعتقد وندين الله به ، فمن عَمِلَ على ذلك فهو أخونا المسلم . له ما لنا وعليه ما علينا .

ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لا تجتمع على ضلالة ، وانه لا تزال طائفة من أمته على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك . انتهى .

ولا يخفى أن هذا الرجل ، بى شُبُهته على أن التوسل الى الله ببركة الانبياء فَمَنَ دُونَهُمْ عبادة ، والعبادة لا تكون الا لله ، ومن فعل ذلك فقد أشرك بالله . وما درى أن العبادة الشرعية هي التكاليف التي اشتملت عليها الشريعة ، سواء كانت معقولة المعنى أو تَعَسُّدِيَّة ، وأن ما خرج عن التكاليف الشرعية ليس من العبادة في شيء . ولم يمرُق بين البدعة الموصلة الى الكفر ، المقتضي للقتال ، واستباحة الدماء والاموال ، وبين غيرها ، وانما قصد ملكا يريد الحصول عليه بعصبية دينية .

ولما شاعت هذه الرسالة في القطر التونسي . بعث بها الباى أبو محمد حمودة باشا الى علماء عصره ، وطلب منهم أن يوضحوا للناس الحق ، فكتب عليها العلامة المحقق ، نسيح وحده . أبو الفداء اسماعيل التميمي ، كتابا مطوَّلاً بديعا ، يدل على بد طوولى

وسعة اطلاع ، سماه « المنح الالهية في طمس الصلابة الوهابية » ، وأحاط عنها العلامة المحقق فخر عصره أبو حفص عمر ابن المفتي العلامة فخر المذهب المالكي أبي الفصل « اسم المحجوب » ، برسالة بدبعة مشتملة على الرد عليه ، في قصده الذي صرح به والذي أشار اليه ، وهي المطابقة لمقتضى الحال ، يذكرها عوض ما أضربنا عنه من المقامات ، وأشعار التكسب التي لا تفيد الا التقرب للممدوح . ونصها .

رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (١) ،
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَتَجْعَلْنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ (٢) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ
ضَلٍّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ حَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَعْمَلُونَ (٣) . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشُّهُرَ الْحَرَامَ
وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَسْتَفْعُونَ فَضْلًا مِّنَ رَبِّهِمْ
وَرِضْوَانًا وَإِذَا حُلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قِسْمٍ أَنْ
صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (٤) .

أما بعد هذه الفاتحة ، التي طلعت في سماء المفاتحة ، فانك راسلتنا تزعم أنك
القائم بسُصرة الدين ، وانك تدعو على بصيرة لِمَا دعا اليه سيد الاولين والآخرين ، وتحت
على الاقتفاء والاتباع . وتنهى عن العرقه والابتداع ، وأشرت في كتابك الى النهي عن
الفرقة واختلاف العباد ، فأصبحت كما قال الله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ
قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ
لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ (٥) .

وقد زعمت أن الناس قد ابتدعوا في الاسلام أمورا ، وأشركوا بالله من الاموات
جمهورا ، في نوسلهم بمشاهد الاولياء عند الآزمات ، وتشفعهم بهم في قضاء الحاجات ،
ونذر النور اليهم والقربات ، وغير ذلك من أنواع العبادات ، وان ذلك كله اشراك برب

(١) س ٢/٧ - ٨٩ (٢) س ٢/١٠ ٨٥ و ٨٦ - (٣) س ١/٥ ١٠٥ - (٤) س ١/٥ ٢ - (٥) س ٢/٢ ٢٠٤ و ٢٠٥

الارضين والسموات ، وكفر قد استحللتم به القتال وانتهاك الحرمات ، ولعمر الله أنك قد ضللت وأضلكت ، وركبت مراكب الطغيان بما استحللت ، وشنت وهولت ، وعلى تكفير اللف والخلف عولت ، وها نحن نحاكمك الى كتاب الله المحكم ، والى السنن الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم .

أما ما أقدمت عليه من قتال أهل الاسلام ، وإخافة أهل البلد الحرام ، والتسلط على المعتصمين بكلمتي الشهادة . وأدتمتم اضرام الحرب بين المسلمين وإيقاده ، فقد اشترتكم في ذلك حطام الدنيا بالآخرة ، ووقعتم بذلك في الكبائر المتكاثرة ، وفرقتكم كلمة المسلمين ، وخلعتم من أعناقكم ربقة الطاعة والدين ، وقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَيْهِمْ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ » (1) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - أَيِ مُحَمَّدٍ رَسُولَ اللَّهِ - فَإِذَا قَالُوا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، إِلَّا بِحَقِّهَا ، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ » .

وحيث كنت لكتاب الله معتمدا ، ولعماد سنته مستندا ، فكيف بعد هذا - ويحك - تستحل دماء أقوام بهذه الكلمة ناطقون ، وبرسالة النبي صلى الله عليه وسلم مصدقون ، ولدعائهم الاسلام يُقيمون ، ولحوزة الاسلام يحمون ، ولعبدة الأصنام يقاتلون ، وعلى التوحيد يناضلون ، وكيف قذفت أنفسكم في مهواة الالحاد ، ووقعتم في شق العصا والسعي في الارض بالفساد ؟ .

وأما ما نأولته عليهم من تكفيرهم بزيارة الاولياء والصالحين ، وجعلهم سائط بينهم وبين رب العالمين ، وزعمت ان ذلك شنشة الجاهلية الماضية ، فنقول لكم في جوابه : معاذ الله أن يعبد مسلم تلك المشاهد ، وأن يأتي إليها معظما تعظيم العابد ، وأن يخضع لها خضوع الجاهلية للأصنام ، وأن يعبدها بسجود أو ركوع أو صيام ، ولو وقع ذلك من جاهل لانهض اليه ولاية الامر والعظمة ، وأنكره العارفون والعلماء ، وأوضحوا للجاهل المنهج القويم ، وهذوه الصراط المستقيم .

وأما ما جنحت اليه ، وعوات في التفكير عليه . من التوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على العدى . وقضاء الحاجات . وتبريح الكربات . التي لا يقدر عليها الا رب الارضين والسماوات ، الى آخر ما ذكرتم . متوقفاً به بيران الفرقة والشئات . فقد أخطأت فيه خطأ مبيناً . وانتفيت فيه غير الاسلام ديناً . فان التوسل بالمخلوق مشروع . ووارد في السنة القويمة ليس بمحظور ولا ممسوع ، ومشارع الحديث الشريف بذلك مفقمة ، وأدلتة كثيرة محكمة ، تضيق المهارق عن استقصائها . وبكيل اليراع اذا كلف باحصائها . ويكفي منها توسل الصحابة والتابعين ، في خلافة عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ، واستسقاؤهم عام الرمادة بالعباس ، واستدفاعهم به الجذب والباس ؛ وذلك أن الارض أجذبت في زمن عمر رضي الله عنه . وكانت الريح تذررو تراباً كالرماد لشدة الجذب . فسميت عام الرمادة لذلك ، فخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالعباس بن عبد المطلب يستقي للناس . فأخذ يضبغينه ، وأشخصه قائماً بين يديه . وقال : اللهم إني نتقرب اليك بعم نبيك . فانك تقول وقولك الحق : « وأما الجدار فكَانَ لِيْغْلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا » (١) . فحفظتهما لصلاح أبيهما . فاحفظ اللهم نبيك في عمه . فقد دوناً به اليك مستغفرين . ثم أقبل على الناس وقال : استغفروا ربكم انه كان غفاراً . والعباس عيناه تنضحان بقول : اللهم أنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضبغة . فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى . وأنت تعلم السر وأخفى . اللهم فأغثهم بغياثك قبل أن يقتطوا فيهلكوا . انه لا يأس من روحك الا القوم الكافرون . اللهم فأغثهم بغياثك فقد تقرب القوم إليك بمكانتي من نبيك عليه السلام . فشأت سحابة . ثم تراكت . وماست فيها ريح . ثم هرت . ودرت بعث واكف . وعاد الناس يتمسحون بردائه ويقولون له : هنيئاً لك ساقي الحرمين .

فأخبرني - يا أخا العرب - هل تكفر بهذا التوسل بهذا الخطاب أمير المؤمنين ، وتكفر معه سائر من حضر من الصحابة والتابعين . لكونهم جعلوا بينهم وبين الله واسطة من الناس ، وتشفعوا اليه بالعباس ، وهل أشركوا بهذا الصنيع مع الله

غيره ، وما منهم الا من أنهضته للدين القويم غيرة . كلاً والله ، وأقسم بالله وثاقه ، بل مكفرهم هو الكافر ، والحائد عن سبيلهم هو المنافق الفاجر ، وهم أهدي سبيلاً ، وأقوم قبلاً . وقد قال عليه الصلاة والسلام : « اقتسوا بمن بعدي ، أبي بكر وعمر » . وإذا قدحت في هذا الجمع من الصحابة الذين منهم عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب وغيرهما ، فمن أين وصل لك هذا الدين ، و[من] رواه لك مبلغاً عن سيد المرسلين ؟ ثم ما تصنع يا هذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في صحيحه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه وسلم في أويس . وأنه أخبر به عليه الصلاة والسلام وهو من أعلام النبوة . وأمر عمر بطلب الاستغفار منه ، وأنه طلب منه ذلك واستغفر له . وقد قال الله تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام : « يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ » (١) .

فالرائر للأولياء والصالحين اما أن يدعو الله لحاجته ، ويتوسل بسر ذلك الولي في إنجاح بُغيته ، كفعل عمر في الاستسقاء ، أو يستمد من المزور الشفاعة له وإمداده بالدعاء ، كما في حديث أويس القرني . اذ الاولياء والعلماء كالشهداء أحياء في قبورهم ، انما انتقلوا من دار الفناء الى دار البقاء .

فأي حرج بعد هذا يا أيها القائم للدين ، في زيارة الاولياء والصالحين ؟ وأي منكر تقوم بتغييره . وتفتحم شق العصا وإضرار سعيه ؟ ولعلك من المبتدعة الذين ينكرون أنواعا كثيرة من الشفاعة ، ولا يثبتونها الا لاهل الطاعة ، كما أنه يلوح من كتابك انكار كرامات الاولياء ، وعدم نفع الدعاء ، وكلها عقائد عن السنة زائفة ، وعن الطريق المستقيم رائغة .

وقولكم ان ما قلتموه لا يخالف فيه أحد من المسلمين ، افتراء ومبتدع ، والحاد في الدين ، لان أهل السنة والجماعة ، يثبتون لغير الانبياء الشفاعة ، كالعلماء والصلحاء وآحاد المؤمنين ، فمنهم من يشفع للقبيلة ومنهم من يشفع للفيتام من الناس ، كما ورد أيضا أن أويس القرني يشفع في مثل ربيعة ومضر . وأما المعتزلة فانهم منعوا شفاعة غير النبي صلى الله عليه وسلم ، وأثبتوا الشفاعة العظمى من هول الموقف ، والشفاعة للمؤمنين المطيعين أو التائبين في رفع الدرجات ، ولم يثبتوا الشفاعة لاهل الكبائر الذين لم يتوبوا ، في النجاة من النار ، بناء على مذهبهم الفاسد من التكمير بالذنوب ، وأنه يجب عليها التعذيب .

وأما ما جنحت اليه من هدم ما بُنِيَ على مشاهد الاولياء من القباب ، من غير تفرقة بين العامر والخراب ، فهي الداهية الدهياء والعظيمة العظمى من الظلم ، التي أصلك الله فيها على علم . « وَمَنْ أَطْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » . (١) وكأنك سمعت في بعض المحاضر ، بعض الاحاديث الواردة في النهي عن البناء على المقابر ، فتلقفته مجملًا من غير بيان ، وأخذته جزأفا من غير ميكيال ولا ميزان ، وجعلت ذلك وليجةً الى ما تقلدته من العسف والطغيان . في هدم ما على قبور الاولياء والعلماء من البنيان . ولو فاوضت الائمة ، واستهديت هداة الامة ، الذين خاضوا من الشريعة لُجَجَهَا ، واقتحموا ثَبَجَهَا ، وعالجوا غِمَارَهَا ، وركبوا تَيَّارَهَا ، لاخبروك أن محلَّ ذلك الزجر ، ومطلع ذلك الفجر . في البناء في مقابر المسلمين ، المعدة لدفن عامتهم لا على التعيين ، لِمَا فيه من التحجير على بقية المستحقين ، ونُبش عظام المسلمين . وأما ما بينه المسلمون أو الكفار في أملاكهم المملوكة لهم ، ليَصِلُوا بمن يُدْفَن هناك حبلهم ، فلا حرج يلحقهم . ولا حِرْمَةٌ ترهقهم . فكما لا تحجير عليهم في بناء أملاكهم دُورًا أو حوانيت أو مساجد . كذلك لا حرج عليهم في جعلها قبابا أو مقامات أو مشاهد .

ثم ليتك اذ تلقفت ذلك منهم . ووعيته عنهم ، أن تعيد عليهم السؤال . وتشرح لهم نازلة الحال ، وهل يجوز بعد التزول والوقوع ، هدم ما بني على الوجه الممنوع . وهل هذا التخريب محذور أو مشروع . فاذا أجابوك أنه من معارك الانظار ، ومحل اختلاف العلماء والنظار ، وأن منهم من يقول بابقائه على حاله ، رعبا للناظر في اتلاف ماله ، وأن له شبهة في الجملة تحميه ، وفي ذلك البناء منفعة للزائر تقييه . ومنهم من شدد النكير . وأبى الا الهدم والتعبير . فاذا تحقق عندك هذا ، فكيف تقدم هذا الإقدام وتخوض مزالت الأقدام ، وتطلق العنان في هدم كل مقام ، من غير مراعاة إلَّا في الدين ولا دمام . فاذا انفتحت لك هذه الابواب ، نظرت بنظر آخر ليس فيه ارتياب ،

وهو أن المنكر الذي اقتضى نظرك تغييره ، ليس متفقا عليه عند أهل البصرة ، وأنه من مدارك الاجتهاد ، وقد سقط عنك القيام فيه والانتقاد . ثم بعد الوصول الى هذا المقام ، أعد نظرا في إيقاد نار الحرب بين أهل الاسلام ، واستباحة المسجد الحرام ، وإخافة أهل الحرمين الشريفين ، والاستهوان لاصابة لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فينضح لك أنك غيرت المنكر في زعمك ، وبحسب اعتقادك وفهمك ، وأتيت بجمل كثيرة من المناكر ، وطائفة عديدة من الكبائر ، آذيت بها نفسك والمسلمين . وابتغيت بها غير سبيل المؤمنين ، وتعرضت بها لاذية الاولياء والصالحين ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام ، في حديث رواه البخاري والامام ، قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الله عز وجل قال من عادى لي وليا فقد آذنتي بحرب » ، فكفى بالتعرض لحرب الله خطرا ، وقذفا في العطب وضررا .

واما إنكار زيارة القبور ، فأبي حرج فيها أو محذور ، وأي ذميمة تطرقها أو تعروها ، مع ثبوت حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ، فان هذا الحديث ناسخ لما ورد من النهي عن زيارتها ، ولاح لما في أول الاسلام من حماية الأئمة من أسباب ضلالتهم ، لقرب عهدنا جاهليتها ، وعبادة أصنامها وآلهتها . وكيف تمنع من زيارتها ، والنبي صلى الله عليه وسلم قد شرعها ، وسام رياضتها وأربعتها ، فقد ثبت في حديث عائشة أم المؤمنين ، أنه صلى الله عليه وسلم زار بقيع الغرقد واستغفر فيه لموتى المسلمين ، وثبت أيضا أنه زار قبر أمه آمنة بنت وهب واستغفر لها .

وأخذ بذلك الصحابة والتابعون ، ودرج عليه العلماء والسلف الماضون ، فقد ثبت في الاحاديث المروية عن أئمة الهدى ، ونجوم الاقتداء ، أن فاطمة سيدة نساء العالمين زارت عمها سيد الشهداء ، وذهبت من المدينة الى جبل أحد ، ولم ينكر من الصحابة أحد ، وهم اذ ذاك بالمدينة متأثرون ، وعلى اقامة الدين متناصرون . أفتجعل هؤلاء أيضا مبتدعين ، وأنهم سكتوا عن الابتداع في الدين ؟ كلا والله ، بل يجب علينا اتباعهم . ومن أدلة الشريعة لإجماعهم .

وقد مضت على ذلك العلماء في جميع الاقطار . وانتدبوا بأنفسهم للاستمداد من قبور الصالحين . وقضاء الاوطار . وخلدوا ذلك في كتبهم ومؤلفاتهم ، وسطروه في

دواوينهم وتعليقاتهم وقسموا الزيادة الى اقسام وأوضحوا ما تلخص لديهم من الاحكام وذلك أن الزيارة ان كانت للاتعاض والاعتبار ، فلا فرق في جوازها بين قبور المسلمين والكفار ، وان كانت للترحم والاستغفار من الزائر ، فلا منع فيها الا في حق الكافر ، فان الشريعة أخبرت بعدم غفران كفره ، وعليه حملوا قوله تعالى : « وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ بَمَاتٍ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ » (١) . وان كانت الزيارة لاستمداد الزائر من المزور ، وتوخي المكان الذي فضله مشهور ، والدعاء عند قبره لامر من الامور ، فلا حرج فيها ولا محذور ، بل هو مندوب اليه ، ومرغّب فيه ، وانه مما تشدّ المطي اليه ، ومن خالف في هذا الحكم سبيل جمهورهم ، واتبع من الشبهات مخالف منشورهم ، فقد شدد العلماء في النكير عليه ، وسددوا سهام النقد اليه ، وأشرعوا نحوه رماح التضليل ، وأرهقوا له سيوف التجهيل ، واتفقت كلمتهم على بدعته في الاعتقاد ، وثنوا اليه عنان الانتقاد ، « وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ » .

وأما التهيي الوارد في شد المطي لغير المساجد الثلاثة فانما هو بالنسبة لئذ الصلاة فيها ، فانه لا يختلف ثواب الصلاة لديها .

وأما المزارات فتختلف في التصريف مقاماتها ، وتفاوت في ذلك كراماتها ، وذلك لسر في الاستمداد والامداد لا تطلع عليه ، وضربت بسور له باب بينك وبين الوصول اليه ، وقد أوضح ذلك حجة الاسلام ، ومن شهد له بالصدقية العلماء والاولياء العظام .

وأما ادماجكم لقبور الانبياء في أثناء النكير ، والتضليل لزائرها والتكفير ، فهو الذي أحفظ عليكم الصدور ، وأترع حياء الكراهة والنفور ، وسدد اليكم سهام الاعتراض ، وأوقد شواطئ البغض والاريماض .

فقل لي - يا أخا العرب - هل قمت لنصرة الدين أم لنقض عرّاه ، وهل أنت مصدق بالوحي لنبيه أم قائل : إِنْ هُوَ إِلَّا إِنْكَ افتراه ؟ وما تصنع بعد اللّتيّ والتي ، في حديث « من زار قبري وجبت له شفاعتي » ؟ وأخبرني هل تضلّل سليمان بن داود

في بنائه على قبر الخليل ، ومن معه من أنبياء بني اسرائيل ؟ وما تقول - ويحك - في الحديث الذي رواه جهايزة الرواة ، وصححه المحدثون الثقات ، وهو أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لما أُسري بي الى بيت المقدس ، مرّ بي جبريل على قبر ابراهيم عليهما السلام ، فقال لي إنزل فصلٌ هنا ركعتين ، فان ههنا قبر أبليك ابراهيم عليه السلام ؟ » وعنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أنه قال : « من لم تُمكنه زيارتي فليزر قبر ابراهيم الخليل عليه السلام . فأين تذهب بعد هذا يا هذا ؟ وهل تجد لنفسك مدخلا أو معاذا ؟ وهل أبقيت بعد تفضيل جميع الانبياء ملاذا ؟ » رَبَّنَا لَا تَزِرُ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . (١)

وأما تلميحكم للحاديث التي تتلقفونها ، ولا تحسنونها ولا تعرفونها ، فهيمتكم بسبب ذلك في أودية الضلالة . ولم تشيّموا بها الا برُوق الجهالة ، وسلكتم شعابها من غير خبير ، ونحوتم أبوابها بلا تدبّر ولا تدبير ، فان حديث « لا تتخذوا قبوري مسجدا » ، محتمله عند البخاري على جعله للصلاة متعبدا ، حفظا للتوحيد ، وحماية للجاهل من العبيد ، لان المصلّي للقبلة يصير كأنه مصلّ اليه ، فحمى صلى الله عليه وسلم حيمى ذلك من الوقوع فيه . وأما قصده للزيارة والاستشفاع ، والاستمداد ببركته والانتفاع ، وقصد المسلمين اباه من سائر البقاع ، فما يسعنا الا الاتّباع .

وكذلك ما لوّحت به الى شدّ الرّحال ، فانك أخطأت في الاستشهاد به في نازلة الحال ، وذلك أن الحصر في المساجد ، دون سائر المشاهد .

وكذلك ما لمحت اليه من حديث تعظيم القبر باسراجه ، فانك أخطأت فيه واضح منهاجه ، مع بهرجة نقده في رواجه ، ومحتمله - على فرض صحته - على فعل ذلك للتعظيم المجرّد عن الانتفاع للزائرين ، أما اذا كان القصد به انتفاع اللائذين والمقيمين ، فهو جائز بلا مّين .

وأما ما تدّعون من ذبح الذبائح والنذور ، وتبالغون في شأنها التغيير والتنكير ، وتصف أستمكم الكذب ، وتثيرون في شأنها الهرج والشغب ، فكون الذبائح المذكورة مما أهّل به لغير الله مكابرة للعيان ، وقذف بالافك والبهتان ، فانّا بلونا أحوال أولئك الناذرين ، فلم نر أحدا منهم يسمّي عند ذبحها اسم ولي من الصالحين ، ولا يطلّخ

الضرائع ، بدم تلك الذبائح ، ولا يأتون بفعل من الافعال ، الحاكمة على تحريم الذبيحة والاهلال .

وأما نذرها لتلك المزارات ، فليس على أهلها من باب الديانات ، ولا أن من لم يفعل ذلك يَكُنْ ناقص الدين في العادات ، وإنما يقصدون بذلك مقاصد الرُقَى والنُّشْرِ (١) ، والانفعا في الدنيا بسر في التصديق بها استر ، ولم يدر منها الا ما اشتهر .

والواجب علينا وعليكم الزجوع في حكم نذرها الى العلماء الاعلام ، المتضلعين من دراية الاحكام ، المقيمين لقسطاسها ، المسرحين لنبراسها ، الناقبين على أساسها ، ومن لديهم علك عَسْجِدِها ونحاسِها .

فان كنتم للحق تقيمون ، ومن مخالفة الشريعة تتجرمون ، « فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » ، « وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ » . فانهم يهدونكم السبيل ، ويفتونكم في هذه المسألة بالتفصيل ، وأن هذا النذر ان نذر تلك الذبائح للولي المعين بلفظ الهدى والبدنة ، فقد جاء بالسيئة مكان الحسنة . ولكن ما رأينا من خلع في هذا المحذور رَسَنَه ، ولا من اهتَصَرَ فَتَنَه ، وإن نذر تلك الذبائح لمحَل الزياره ، بغير هاته العبارة ، وكان من الذبائح التي تقبل أن تكون هديا ، فهل يلزمه أن يسعى به لذلك المزار سعيا ، أو لا يلزمه الا التصديق به في موضعه رعا ، خلاف في مذهب مالك شهير ، قرره العلماء التحارير . وان كان ذلك النذر مما لا يصح إهداؤه ، فالقاصد للفقراء الملازمين بمحل الشيخ يلزمه بعثه وإنهاؤه . والقاصد للولي في نذره ونشره (٢) ، لا يلزمه الا التصديق به في موضعه .

واذا اتضح لديك الحال ، فأبي داعية للحرب والقتال ؟ وهل يتميز المشروع من هذه الصور بالمحذور ، الا بالنيات التي لا يعلمها الا العالم بما في الصدور ؟ والله انما كلنا بالظاهر ، ووَكَّلَ اليه أمر السرائر . ولم يقيض بالخواطر نقيبا ، ولا جعل عليها مهيمنا من الولاة ولا رقبيا .

(١) النشرة طم اللون : ضرب من الرقية والعلاج ، يصلح منه من كان يطر أن به مسا من الحسن (النهاية لابن الاثير)

(٢) تشرع : اتبع شريعة او دينه (هونى)

وإذا التزمت مدَّة الذريعة بالمتنع من المشروع ، خوفاً من الوقوع في المنوع ، فالترم هذا الالتزام ، في سائر العبادات الواقعة في الاسلام ، التي لا تفرقة فيها بين المسلم والكافر ، الا بما انطلوت عليه الضمائر . فان المصلي في المسجد يحتمل أن يقصد عبادة الحجارة ، بمثل ما احتمل صاحب الذبائح والزيارة ، والصائم يحتمل أن يقصد بصومه تصحيح المزاج ، أو المداواة والعلاج . والمزكي يحتمل أن يقصد مقصداً دنيوياً ، أو معبوداً جاهلياً ، والمحرم بحجٍّ أو عمرة ، يحتمل أن ينوي ما يوجب كفره .

وإذا وصلت الى هذا الالتزام ، نقضت سائر دعائم الاسلام ، والتبس أهل الكفر بأهل الايمان ، وأفضى الحال الى هدم جميع الاركان ، واستبيحت دماء جميع المسلمين ، وهدمت صلواتهم ومساجدهم وصوامعهم أجمعين .

فانظر أيها الانسان ، ما هذا الهذيان ، وكيف لعب بك الشيطان ، وماذا أوقعك فيه من الحسران . فارجع عن هذا الضلال المبين ، وقل ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين .

وأما ما جليتم من الاحاديث الواردة في تغيير النبي صلى الله عليه وسلم للقبور ، وأنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بطمسها وتسويتها ، فقد أخطأتم الطريق في فهمها ، ولم يأتكم نبأ عِلْمِهَا ، ولو سألتهم عن ذلك ذويه ، لاخبروكم بأن محمله طمس ما كانت الجاهلية عليه ، وكانت عاداتهم اذا مات عظيم من عظمائهم ، بنوا على قبره بناء كَأُطْمٍ من آطامهم ، مباهاة وفخرا ، وتعاظما وكبرا ، فبعث صلى الله عليه وسلم من يمحو من الجاهلية آثارها ، ويطمس مباهاتها وفخارها ، والا فلو كان كما ذكرتم ، لكان حكم التسنيم (١) كحكم ما أنكرتم .

وإذا استبان لكم واتضح لديكم ، انقلبت الحجة التي أنبتم بها عليكم ، وكيف تجعلون تلك الاحاديث حجة قاضية ، على وجوب كون القبور ضاحية (٢) ، والفرق ظاهر بين البناء على القبور ، وحفر القبور تحت البناء ، فالاول من فعل الجاهلية الوارد فيه ما ورد ، والثاني هو الذي يعوركم فيه المستند ، ولا يوافقكم على تعميم النهي احد .

(١) تسنيم القبر خلاف تسطيحه ، وقبر منمن اذا كان مرموعا عن الارض (اللسان)

(٢) الضاحي من كل شيء البازر الظاهر (اللسان)

وأما ما نزعتم اليه من التهديد ، وقرعتم فيه بآيات الحديد . وذكرتم «أن من لم يُحِب بالحجة والبيان ، دعواه بالسيف والساد» . فاعلم يا هذا أننا لسنا ممن يعد الله على حرف ، ولا ممن يفرُّ عن نصرة دينه من الرحف ، ولا ممن يطن بربه الظنون ، أو يترشح عن الوثوق بقوله تعالى : « فَأَذَا حَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ » (١) ، ولا ممن يميل عن الاعتصام بالله سرّاً وعلناً ، أو يشك في قوله تعالى : « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا » (٢) ، وما بنا من وهن ولا فشل ، ولا ضعف في النكاية ولا كسل ، نتصر للدين ونحمي حماه ، وما النصر الا من عند الله .

وأما ما جال في نفوسكم ، ودار في رؤوسكم . وامتدت اليه يد الطمع ، وسوّته الاماني والخذع ، من أنكم من الفئة الذين هم ومن حالفهم ، لا يضرهم من خالفهم ، وأنكم من الطائفة الظاهرين على الحق ، وأن هذه المناقب تساق اليكم وتُحق ، فكلّا وحاشا أن يكون لكم في هذه المناقب من نصيب ، أو يصير لكم ارثها بفرض أو تعصيب ، فان هذا الحديث وإن كان واردا صحيحا ، الا أنكم لم تَوْقُوا طريقه تقيحا ، فان في بعض رواياته « وهم بالمغرب » وهي تحجبكم عن هذه المناقب ، وتبعدكم عنها بعد المشارق من المغارب .

فانقض يدك . مما ليس اليك ، ولا تمدّ عَيْنِكَ . الى من حرّمت عليك . فانكاح الثريا من سهيل ، أمكن من هذا المستحيل .

أما أهل هذه الاصقاع ، والذين بأيديهم مقاليد هذه البقاع ، فهم أجدر أن يكونوا من اخواننا ، وتمتد أيديهم الى خيوانها ، لصحة عقائدهم السنيّة ، واتباعهم سبيل الشريعة المحمّدية ، ونبذهم للابتداع في الدين ، وانقيادهم للاجماع وسبيل المؤمنين .

وقد أنبأنا في هذا الكتاب ، وأعربت في طي الخطاب ، عن عقائد المبتدعة . الزائغين عن السنة المتبعة ، الراكبين مراكب الاعتساف ، الراغبين عن جمع الكلمة والائتلاف ، فالنصيحة النصيحة ، أن تترع لباس العقائد الفاسدة وتشربل العقائد الصحيحة ، وترجع الى الله وتؤمن بلفاه ، ولا تكفر أحدا بذنب اجتناه . فان تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزين الله .

وزبدة الجواب وفذلكة الحساب ، انك ان قفوت يا أخا العرب نصحك ، وأسوت
 بالتوبة جرحك ، وأدملت بالانابة قرحك ، فمرحبا بأخي الصلاح ، وحبيها بالمؤازر
 على الطاعة والنجاح ، وجمع الكلمة والسماح ، وان أطلت في لجة الغواية سبحك ،
 وشيدت في الفتنة صرحك ، واختلكت عارضا رُمحك ، فان بني عمك فيهم رماح ،
 وما منهم الا من يتقلد الصفاح ، ويجيل في الحرب فائز القيداح .

والله تعالى يسدّد سهام الامة الساعية فيما يحبه ويرضاه ، ويُخمد ضرام الفتنة
 الباغية حتى تفنى الى أمر الله . والسلام .

وبعث حمودة باشا بهذه الرسالة الى القائم الوهابي فلم يجب عنها . ولجّ في حروبه
 وقتاله ، الى أن كانت الهزيمة آخر حاله ، على يد رجل الدنيا وواحد الطائر الصيت
 في جهات المعمور ، من ردّ الله به مصر الى شبابها ، رد شباب امرأة العزيز ليوسف
 الصديق ، وهو أبو عبد الله محمد علي باشا ، عزيز مصر ، رحمه الله .



المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التى نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب العربية اعداد صفحاتها

- ١ - جزء عم من القرآن الكريم ٣٢
- ٢ - تفسير سورة البقرة (شيخ زاده) ٦٠٤
- ٣ - الإيمان والاسلام ٩٦
- ٤ - القول الفصل شرح الفقه الاكبر ٤١٦
- ٥ - نخبة اللائى لشرح بدلى الامالى ١٤٤
- ٦ - الحديقة البدية شرح الطريقة المحمدية (الجز الاول) ٤٣٦
- ٧ - علماء المسلمين والواهابيون ١٥٦
- ٨ - فتاوى الحرمين برجف ندوة المين ١٢٨
- ٩ - هدية المهدين ويليہ المتنبي القاديانى ١٩٢
- ١٠ - المنقذ من الصلال ويليہ الحام العوام عن علمه الكلام
و يليهما تحفة الاريب ٢٥٦
- ١١ - المنتخبات من المكتوبات للامام الربانى ٢٥٦
- ١٢ - مختصر (التحفة الإثني عشرية) ٣٥٢
- ١٣ - الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية و يليه الحجج القطعية ١٨٤
- ١٤ - خلاصة التحقيق فى بيان حكم التقليد والتفريق ٣٢٠
- ١٥ - المنحة الوهبية فى رد الوهابية ١٧٦
- ١٦ - البصائر لمنكرى التوسل باهل المقابر ٢٦٤
- ١٧ - فتنة الوهابية و يليها الصواعق الإلهة و يليهما سيف الحمار ٢٥٦
- ١٨ - تطهير الفؤاد و يليه شفاء السقام ٢٥٦
- ١٩ - لفجر الصادق فى الرد على منكرى التوسل والكرامات والخرق ١٩٢
- ٢٠ - لحل المتير فى اتباع السلف الصالحين ١٣٦
- ٢١ - خلاصة الكلام فى بيان امراء البلد الحرام (من الجزء الثانى) ٢٢٤
- ٢٢ - لتوسل بالنبي وبالصالحين و يبيہ التوسل ٣٣٦
- ٢٣ - الدرر السنية فى الرد على الوهابية ١٧٦
- ٢٤ - سيل البجاة عن بدعة اهل الزيغ والصلالة ٢٠٨
- ٢٥ - الانصاف فى بيان سبب الاختلاف و يليه عقد الجيد
- ومقياس القياس والمسائل المنتخبة ١٩٢
- ٢٦ - المستند المعتمد ببناء نجاة الابد ٢٧٢

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اعداد صفحاتها

الكتب العربية

- ٢٧ - لاستاد لمودودى و يليه كتف الشهة عن اجماعة التليعية..... ١٢٨
- ٢٨ - كتاب الأيمان (من رد المحتار) ٢٠٨
- ٢٩ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الاول) ٣٩٢
- ٣٠ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثانى) ٣٢٠
- ٣١ - الفقه على المذاهب الاربعة (الجزء الثالث) ٣٥٢
- ٣٢ - لأدلة المواضع على الترام لعربية فى التوايع ١٢٠
- ٣٣ - البريقة شرح الطريقة و يبيه مهل الواردين من بحار الفيض
على ذخر المتأهلين فى مسائل الحيض..... ٢٨٨
- ٣٤ - البهجة السنية فى آداب الطريقة و يليه رغام المريد ٢٢٤
- ٣٥ - السعادة الابدية فيما جاء به النقشبندية
و يليه الحديقة الندية فى الطريقة النقشبندية ٣٠٤
- ٣٦ - مفتاح الفلاح و يليه خطبة عيد الفطر ١٩٢
- ٣٧ - مفاتيح الجنان شرح شرعة الاسلام ٥٩٢
- ٣٨ - الانور المحمدية من لواهب الدنية (الجلد الاول) ٤٤٨
- ٣٩ - حجة الله على العالمين فى معجرات سيد المرسلين (من جلد الثانى)..... ١١٢
- ٤٠ - اثبات النبوة و يليه الدولة المكية بالمادة الغيبية ٢٢٤
- ٤١ - العمة الكسرى على العالم فى مولد سيد ولد آدم ٢٣٢
- ٤٢ - تسهيل المنافع و بهامشه الطب السوى ٣٠٤
- ٤٣ - الدولة العثمانية من كتاب الفتوحات الاسلامية
و يليه المسلمون المعاصرون ٢٦٤
- ٤٤ - كتاب الصلاة ٣٢
- ٤٥ - صرف عربى و عوامل والكافية لاس الحاح ١٦٨
- ٤٦ - لصوق المحرقة فى الرد على اهل البدع والريدة ٣٣٦
- ٤٧ - الحقائق الإسلامية فى الرد على المزاعم الوهابية ١٢٨
- ٤٨ - نور الاسلام ٣٠٤
- ٤٩ - الصراط المستقيم فى رد النصارى ٨٠
- ٥٠ - الرد اجملى فى رد النصارى و يبيه ايها لولد للغزلى ٩٦

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

اسماء الكتب التي نشرتها مكتبة الحقيقة

الكتب الفارسية	اعداد صفحاتها
١- مکتوبات امام رباني (دفتر اول).....	٦٧٢
٢- مکتوبات امام رباني (دفتر دوم و سوم).....	٦٠٨
٣- منتخبات از مکتوبات امام رباني.....	٤١٦
٤- منتخبات از مکتوبات معصوميه	
و يليه مسلك مجدد الف ثاني (بترجمة اردو).....	٣٩٢
٥- مبدأ ومعاد.....	٨٨
٦- كيمياي سعادت (امام غزالي).....	٣٤٤
٧- رياض الناصحين.....	٣٨٤
٨- مكاتيب شريفة (حضرت عبدالله دهلوی).....	٢٨٨
٩- در المعارف (ملفوظات حضرت عبدالله دهلوی).....	١٦٠
١٠- رد وهابي و يليه سيف الابرار المسلول على القجار.....	١٤٤
١١- الاصول الاربعة في تردید الوهابيه.....	١٢٨
١٢- زبدة المقامات (بركات احمديہ).....	٤٢٤
١٣- مفتاح النجاة لاحد نامقي جامي.....	١٢٨
١٤- ميزان الموازين في امر الدين.....	٣٠٤

الكتب العربية مع الاردوية والفارسية مع الاوردية والاردية

١- طريق النجات (عربي مع اردو).....	٢٥٦
٢- المدارج السننية في الرد على الوهابية	
و يليه العقائد الصحيحة في تردید الوهابية التجدية.....	١٩٢
٣- عقائد نظاميه (فارسي مع اردو) مع شرح قصيدة بدای الامالی.....	١٦٠
٤- تأييد أهل سنت (فارسي مع اردو).....	٩٦
٥- الخيرات الحسان (اردو).....	٢٢٤

BOOKS PUBLISHED BY HAKİKAT KİTABEVİ

(P.K.35 Fâtih, Istanbul-Turkey)

ENGLISH:

- 1 — Endless Bliss, I, 6th ed., 248 pp., 1985
- 2 — Endless Bliss II, 6th ed., 296 pp., 1985
- 3 — Endless Bliss III, 5th ed., 160 pp., 1985
- 4 — Endless Bliss IV, 6th ed., 326 pp., 1985
- 5 — Endless Bliss V, 4th ed., 152 pp., 1985
- 6 — The Religion Reformers in Islam, 6th ed., 264 pp., 1986
- 7 — The Sunni Path, 10th ed., 96 pp., 1986
- 8 — Belief and Islam, 10th ed., 96 pp., 1986
- 9 — Evidences for Prophethood and Answer to a University Student, 6th ed., 128 pp., 1985
- 10 — Answer to an Enemy of Islam, 9th ed., 128 pp., 1986
- 11 — Advice for the Muslim, 6th ed., 320 pp., 1985
- 12 — Islam and Christianity, 1st ed., 200 pp., 1986

FRENCH:

- 1 — Al rad al jamul, Ayyuha'l-walad (Al-Gazâli), 1st ed., 104 pp., 1986
- 2 — Islam et la voie d'ahl-i Sunnat, 4th ed., 88 pp., 1983
- 3 — Foi et Islam, 5th ed., 104 pp., 1983
- 4 — Islam et christianisme, 1st ed., 1986
- 5 — L'Evidence de La Prophétie, 2nd ed., 80 pp., 1980

GERMAN:

- 1 — Islam und der Weg der Sunniten, 4th ed., 96 pp., 1986
- 2 — Glaube und Islam, 3rd th., 72 pp., 1986
- 3 — Islam und Christentum, 1st ed., 1986

المكتبة التخصصية للرد على الوهابية

هذا الكتاب (الحقائق الإسلامية في الرد على المذاهب الوهابية) ألفه مالك بن داود مدير (مدرسة العرفان) بمدينة «كوتيا» بجمهورية «مالي» الواقعة في قارة أفريقيا سنة ١٤٠٣ هـ الموافق ١٩٨٣ م. يقول المؤلف في كتابه هذا: «أن المسلمين افترقوا على فرق متعددة عبر التاريخ إلا أنهم لم يكفروا مخالفهم من المسلمين ولكن بعد ظهور فرقة الوهابية منذ حوالي مائتين (٢٠٠) عاما كفروا من المسلمين من مخالفهم ونصحبهم بألا يغالوا في الامر وألا يقوموا بالفرقة بين المسلمين وذكرهم بأن نبينا صلى الله عليه وسلم قال لعامة المسلمين (أمتي) وطلبهم بأن يعدلوا عن هذه الفكرة ودعاهم إلى التحبب والتأخي والتضامن والتساند الإسلامي والعمل سويا من أجل هذا الهدف وقد أثبتت ثم بالادلة من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أن ديننا يدعونا ويأمرنا بالإتحاد والمعاونة.»

مكتبة الحقيقة

This work, *Al-haqâ'iq al-Islamiyya fi 'r-raddi 'ala 'l-mazâ'imi 'l-Wahhâbiyya*, was written by Mâlik bî bin Dâwud, Director of *Madrasat al-'Irfân* in Koutiula, Republic of Mali, Africa, in 1403 A.H. (1983). In this book, he states that, though Muslims have been divided in various groups, in the course of history, they all called one another "Muslims", that the Wahhâbis, who came about two centuries ago, say "unbelievers" or "polytheists" for all the Muslims who do not follow their path; he advises them that they should not be excessive and disunionist as such. He reminds that our prophet said "My Ummat" for all Muslims regardless of their group; he urges that the Wahhâbis should get rid of such disunionism and that all Muslims should love one another and work as brother hand in hand. The author documents with âyats and hadiths that Islam commands uniting and cooperation.

İşbu (El-hakâik-ul-islâmiyye firreddi-alel-mezâ'im-il-vehhâbiyye) kitâbını Afrikada Mali Cumhûriyetinin Koutiala şehrindeki (Medrese-tül irfân) müdürü Mâlik beh bin Dâvud 1403 [m.1983] senesinde yazmışdır. Bu kitâbında, müslümanlar târih boyunca çeşitli fırkalara ayrılmışlar ise de, hepsinin birbirlerine müslüman dediklerini, ancak ikiyüz sene önce ortaya çıkan vehhâbilerin, kendilerine uymıyan bütün müslümanlara kâfir, müşrik dediklerini bildirmekde, böyle taşkınlık, bölücülük yapmamaları için, onlara nasihat vermektedir. Peygamberimizin, hangi fırkada olursa olsun, bütün müslümanlara (Ümmetim) dediğini hatırlatmakda, vehhâbilerin böyle bölücülükden vazgeçmesini, bütün müslümanların sevişmelerini, elele vererek, kardeş olarak çalışmalarını istemekdedir. Dînimizin birleşmeği, yardımlaşmağı emr etdiğini, âyet-i kerîmeler ve hadîs-i şerîflerle isbât etmektedir. Kitap arabçadır. İçinde osmanlıca yazı hiç yoktur.

Hakikat Kitâbevi